III ـ مقالاتٌ مؤيِّدة للدعوى المرفوعة ضدّ الآداب

هنا بعضُ المقالات المؤيّدة للدعوى ضدّ الآداب و/أو الشاجبة لافتتاحية الآداب (٥ ــ ٦ / ٢٠٠٧)، أو للمجلة عامة، ولرئيس تحريرها و«جوقته» أو حزبه من «أزلام صدّام،» أو لميثاق الشرف. وحتى إعداد هذا الملفّ كانت المقالات من هذا النوع قد بلغتْ أكثر من ٤٠ مقالاً (جلُّها نُشر في جريدة المدى لفخري كريم، وثلاثة في الحياة، وواحد في السفير، وواحد أو أكثر في الزمان والشبكة والصباح، فضلاً عن البيانات «المتضامنة» مع كريم. وقد اخترنا أن ننشر سبعة عشر مقالاً، وبياناً واحداً، وآثرْنا أن نبقيَها كما جاءت من دون أدنى تحريرٍ أو تصحيحٍ (إلاّ فيما ندر) أو حذفٍ ما هو ـ بكلّ المعايير ـ قَدحٌ وذمّ. ولكنّنا ننصح الزملاءَ في جريدة المدى ـ بالمناسبة ـ بأن يحسّنوا مستوى تحريرها: فمهمةُ القوسيْن غيرُ مهمّة المزدوجيْن، ولا فراغَ قبل علامات الوقف (هذا إذا وُضعتْ أصلاً أو استُخدمتْ كما يجب)، وبعضُ الحركات لا غنى عنها لدفع اللبْس، وأما أخطاء الهمزة فحدِّثْ ولا حرج، وبعضُ الجمل تَقْطع النَفَس لطولها (هذا إذا اكتمل معناها). وربّما على الزملاء في المدى أن يفكّروا في إجراء تعديل جذريّ في رؤية هيئة التحرير، إذ لا يُعقل مثلاً أن يستنكر رئيسُ مجلس إدارة المدى ما زعم أنّه قدحٌ وذمٌّ مارستْهما الآداب بحقّه، ثم يَسمح لكتّابه أو يحرِّضهم على ممارسة التهجّم الشخصي والشتم. على أيّ حال، ندعو الإخوةَ في هيئة تحرير المدى إلى أن يحذوا حذوَ الآداب، فيَنْشروا في جريدتهم مقالاتٍ مؤيِّدةً لـ الآداب ولميثاق الشرف، ومناهضةً للاحتلال وإفرازاته ورئيس مجلس إدارة المدى. ولِمَ لا؟ أليس هذا من أُسس الديموقراطية الليبرالية التي يتغنّون بها ويريدونها بديلاً من «الرأي الواحد» و«الفكر الشمولي البعثي الصدّامي التكفيري الـ...»؟

هذا، ويَنْشر رئيسُ تحرير الآداب ردَّه على بعضِ ما جاء في هذه المقالات في نهاية القسم الرابع من هذا الملف.

الآداب

❖ ❖ ❖

لماذا يستكثرون علينا أن نلتقي في بلادنا ؟

عبد الستّار ناصر

هي تسلية موجعة تشبه المؤامرة ، أن تكسر ما تشاء الى نصفين، ثم ترى بنفسك النصف الذي يشبه المؤامرة (أنت من فعلت ذلك) أو النصف الذي يشبه التسلية ، ولا فرق بين مجرم وبريء في حمّى البحث عن ضحية أو البحث عن فراغ مملوء بالطعنات ، ما دامت السكين جاهزة لبقر البطون من دون أيّ سؤال عن الحقائق المهملة ثمة في مخزون الذاكرة، والضحايا أرقام بلا شهيق وبلا ملامح (أنت من يرسم الصورة في آخر المطاف).

علّمتني سنوات الكتابة ، أن الحرف لم يعد مقدسا كما كان أيام الأسلاف ، والمفردة ليست نقيّة ولا جامحة كما هي في زمن الفرسان ، ثمة من يأكل الكلمات على غفلة من كاتبها ، وقد يبقى من الصفحة نصف سطورها حتى نطمئن الى المعدة التي ما زالت في تمام صحتها ، ودون ذلك كيف نفسّر أنهم يستكثرون علينا أن نلتقي في بلادنا بعد كل ذاك الشتات وتلك المنافي؟ وكيف نفسّر قولاً هجيناً جاء فيه (إن سعدي يوسف يحكي عن محاولة الرئيس طالباني شراء المثقفين العراقيين المقيمين في الخارج لكمّ أفواههم) وذلك عند ذهابهم الى مهرجان (المدى) في أربيل ؟ هي محض زيارة الى جزء من الوطن ، لا أموال يأخذها الزائر ولا هدايا ولا خبايا ولا خفايا ، وما نعرفه عن شراء الضمائر والذمم في الزمن الغابر ، فات الأوان عليه وعلى المستفيدين من (كوبوناته) وصار من حصة أوهام النخبة الضالة في انها ما زالت قادرة على شقّ الجيوب التحتانية حتى تركب الموجة نحو فنادق النجوم الخمس وغرف الساونا والجاكوزي والتدليك بالعملة الصعبة من أمثال وليد ابو ظهر وأمير اسكندر وحميدة نعنع وفؤاد مطر ، وغيرهم الكثير ممن تعرفون ، وكان للشاعر سعدي

يوسف حصّته في ذلك كما يعلم هو نفسه قبل غيره (ولكن تحت قناع آخر يشبه الى حدّ ما طاقية الاخفاء) سامحه اللّه.

بعض ما جاء في افتتاحية (الآداب) ٢٠٠٧/٥/١٩ لم يكتبه سماح إدريس ، أو مكتوب بالنيابة ، **فمن أين له ، وهو صغير السن قياساً بما حلّ في عراق المصائب (الخمسينيات وما بعدها)** ان يفترض أو يتكهن أو يعتقد او يتوهم أو يظن أو يشك أويرتاب بما آلت إليه أموال الحزب الشيوعي العراقي منذ أيام الرفيق فهد (بحسب قوله) والى التسعينيات من القرن العشرين ، حتى يأتي ويقّص علينا افتراضاته وتكهناته وظنونه وارتيابه (المهداة اليه مجاناً) فيحكي عن معلومات ، لم يكن هو أيامها ، اكبر عمراً من تلميذ في الصف الثاني الابتدائي لا يعرف الفرق حينها بين النعمة والنقمة حتى ينعم علينا بما صار اليوم نقمة علينا وعلى القراء والمجلة معاً.

عدسة كاميرا سماح إدريس ذهبت خصيصاً صوب فخري كريم ، وعلى الصفحة ٩٦ **ورد اسمه مسبوقاً بنقطة كبيرة متعمّدة مع خطّ في أعلى الصفحة** تحت اسمه في اشارة (لا نقاش بعدها) تقول : إن افتتاحية الآداب لا شأن لها بالسلطات المستبدة ولا الجرائم الثقافية ولا خرابيش الوهابية ولا الهيكلية الظلامية التي ذكرتها للتمويه والعموميات ، بل جاءت _ أصلاً وفروعاً – لتحطيم (شخص) وكسر شوكته والاعلان عن شطبه وحذف اسمه في ايّ انتماء أخلاقي وانساني وثقافي كما ورد في قائمة اتهامات الدكتور سماح إدريس التي تبدأ بالسرقة ولا تنتهي عند العمالة ، حيث تبقى عدسة رئيس التحرير باتجاه واحد ، مع أن افتتاحيته تحكي عن أسماء كثيرة أخرى، ولكن، من دون ان تتحرك عدسة الكاميرا صوب أيّ واحد منهم!.

طوال تأريخها ، وهي بحق افضل مجلة عربية ثقافية ابداعية ، لم تقع (الآداب) في فخ المزايدات السياسية والحملات المنظّمة ، ولم تركب أية موجة طائفية ولا شأن لها بالسُحت الحرام لتغطية نفقات طباعتها وتوزيعها ، مع انها كانت بأمس الحاجة ذات عام (من التسعينيات) الى التبرعات حتى تستمر في عطائها ، وأعلنت عن ذلك رسمياً ، ولكنها برغم ذلك رفضت أموال الطغاة وأموال العقول السلفية وأرباب الثقافةالصفراء التي تعمل في ايام الضّراء لصيد المبدعين بحجة السرّاء الذي ستأتي به اليهم من وراء الحدود!.

لم نقرأ في الآداب ، منذ ولادتها في عام ١٩٥٣ ، ما يثير النعراؤت [كذا] السلفية او المذهبية ولا التطرف أو التعصّب ، ليس من شتائم ولا تجريح ولا مواقف (متفقٌ عليها سلفاً) بل كانت مجلة للعقل العربي الخلاّق المبدع ، مجلة تنوير ،مجلة نخبة ومجلة شعب ، لا تريد غير ان يكون المثقف في مكانه الصحيح ، بينما نراها اليوم محشوة ومزحومة بميليشيات الفكر اليميني والصراعات (المبرمجة) الخالية من المبادىء ، وكلها تعمل في حقل مرعب مخيف ((اذا لم تكن معي فأنت عدوّي)) وليس من تسامح في تلك الشعارات المريضة والخطابات المسننّة كالحراب والتي طالما سمعناها في زمن الديكتاتورية البغيضة . وهذا نفسه ما جاء ضمنياً في كلمة سماح إدريس (المكتوبة بالنيابه) إذ لاعقاب يستحقه فخري كريم غير القتل (معنوياً) والشطب عليه في ايّ محفل عربي ، وان جاء القتل بالمعنى التالي ، فقد يكون ذلك أجدى وافضل .

ما الذي تغيّر في سلوك مجلة (الآداب)؟ ندري أنّ كتّابها من الرعيل الأول تخلّوا عنها، وجاءت أسماء وحلّت أفكار وانقلبت الأشكال وانحسرت عن المجلة هويتها السابقة أيام رئيس تحريرها الأول، الروائي الكبير سهيل إدريس، حتى لم نعد **نصدق أن المجلة هي نفسها (الآداب) التي كنا نعرفها ونكتب فيها**. ولعل هجومها السافر على الأستاذ فخري كريم هو الأول من نوعه وربما تخطط المجلة إلى شن معارك أخرى على كل من تسوّل له نفسه دعوة المثقفين إلى أي مؤتمر أو مهرجان ينعقد تحت سماء العراق، ما لم يثبت صاحب الدعوة سلامةَ النيّة وسلامةَ الأموال ومصدرَها وكذلك سلامة المسافرين أنفسهم من أية أغراض طائفية أو عنصرية أو عرقية أو أية صراعات عشائرية أو مذهبية، وهذا يعني أن الهجوم التالي سيأتي أكثر شمولاً واتساعاً ولن يكون من حصة شخص واحد كما حدث سهواً هذه المرة مع شخصية بمستوى فخري كريم.

صرنا نغفل عما يثير السخرية في حياتنا العربية المظلمة والظالمة أيضا ، نغفل عن الزمن الرمادي الذي طمسنا الى أعماقه ، نغفل عن العار التلفزيوني وشيوخ الطريقة الذين نراهم على الفضائيات ، نغفل عن مليارات الجرائم والموبقات والأخطاء ونمضي كالماعز الى بيت الطاعة (الآيديولوجي) برؤوس ذليلة خانعة ، بينما الشجاعة ما زالت قاب قوسين منا ، والبطولة ممكنة ايضا ، بشرط أن نبتعد عمّن سيدفع الثمن .

انا شخصياً لا أتعامل مع الانترنيت ولا أعرف من يكون (البديل العراقي) الذي كتب الصفحات الست من دون اسم يشير إليه ، وذلك في دفاعه عن سماح إدريس،* فالمقالة تبدأ بالقذف والسوقيّة في التعبير وتنتهي بالشتائم من كل صنف

* ـ الموقع المذكور، هو www.albadeeliraq.com. (الآداب)

ونوع ، ومن مفرداتها : ضباع ، غربان، خسّة، صلافة، خنوع، لوثة ، دجل، نفاق ، وفي مكان آخرنقرأ : حرامي ، نصّاب ، سفّاح ،جزّار ،مريض ،سطحي ، تابع ،خانع ، نبّاح ، سرطان ثقافة ، شراء ضمائر، جاسوس ، مخابراتي ، متربصّ ، بساطير ، قاطع أرزاق ، نذل ، متعطّش للجاه والسلطة ، وسمسار ، فمن هو (البديل) الذي كتب هذا القاموس العجيب من البذاءات ، وهل سنصدق بعد كل ذلك ان السبب هو محض افتتاحية في مجلة ومحض جواب قضائي عليها أم هي حالة حرب مرسومة بدقة قبل اندلاعها وسوف تشترك فيها أطراف ومنظّمات واحزاب وقضاة (وشعراء جبناء تمكنو [كذا] أخيراً" ومصادفة من اصطياد صفة الشجاعة على غفلة من الشهود القدامى) ؟!

اللعبة هذة المرة اكبرمن الشعارات المضحكة التي (شبعنا) منها في أزمنة البطش والجعجعة الجوفاء ، وعلى من يلعبها عليه أن يعرف مسبقا أن لا احد سينتصر فيها ، انها لعبة تنتهي دائما بخسارة الأطراف كلها ولا تنفع معها شعارات (الكفاح غير المسلح) او (كنس المستعمر من المحيط الى الخليج) ولا (جئنا لنبقى) كما نطق بها كبيرهم الذي علّمهم السحر قبل خروجه من جحر الفئران.*

ربما كان الذهاب الى كردستان مزروعاً بالمفرقعات والشظايا والأ سلاك الشائكة والنيّات السيئة– كما أراد البعض أن يقول _ فهل كان مبدعونا ومفكرونا واساتذتنا وكتّابنا الكبار ، كلهم على خطأ يوم شدّوا الرحال الى هناك ؟ هل كان محمد سعيد الصكار وصادق الصائغ ومالك المطلبي وفوزي كريم وكاظم الحجاج ومحمد خضير وكاظم حبيب وسهيل سامي نادر ومحمود عبد الوهاب وعلي حسن الفواز وفاطمة المحسن واحمد خلف وصلاح نيازي وفالح عبد الجبار وعلي بدر ووارد بدر السالم وحميد المختار وفاضل ثامر ويوسف العاني وفؤاد التكرلي ونوري الراوي (كلهم) على خطأ ساعة أن هبطوا على ارضنا بعد سنوات عجاف من الغربة والحنين؟ وأكرر : لماذا يستكثرون علينا أن نلتقي في بلادنا بعد كل ذاك الشتات وتلك المنافي؟.

يوجعني القول (أن نصل الى هذا المستوى من الكتابة) وبخاصة ما جاء في ردود (سعلوات وطناطيل الانترنيت) الذين يحرقون الأخضر واليابس ، بينما الأخوة يمكنهم رؤية الحرائق وهي تندفع بقوة نحو بيوتهم ، كم هو جارح أن تنزلق (الآداب) الى هوّة المنازعات ، هي المجلة التقدمية العريقة ، يؤسفني أن تكون وعاء"لمنطق البعثيين من ايتام الطاغية ، هي التي نأت عن المثالب وعن بالونات الاثارة ، **لا ندري ما هو الثمن الذي ابعدها، هكذا وبسرعة، عن قلعتها الشامخة** التي كانت ملاذنا لعقود مثمرة من الابداع العظيم، وكانت البيت الذي نحجّ إليه في رحلة الشتاء وفي رحلة الصيف معاً، مهما كان حجم الزمهرير وكيفما جاء قيظ الصحراء ، **لا اتمنّى لهذا البيت أن يباع مهما كان الثمن** .

ليس من شك في أن روح المسيح لم تعد تحلّق فوق البشر ، ومن يصفعك على خدّك الأيسر سوف تضربه بكل ما لديك من اسلحة، والضحايا أنواع ، واحد لا حول ولا قوة له ، وآخر يعرف مستوى همجية الظالم ولا يملك غير السكوت، والثالث يستغفر اللّه من شرّ ماخلق ، لكن الضحايا ليس هذا وذاك فقط ، ثمة مخالب وأنياب يمكنها أن تقلب المائدة على رؤوس أصحابها اذا اقتضى الأمر ، والسكاكين التي حاول البعض غرزها في مسامات آخر الضحايا اكتشف اصحابها أن الضحية هذة المرة من صنف مختلف، وأن روح المسيح لا تنفع في زمن الذئاب ،لذلك زاد الميزان بنوعية ثقيلة ومبتكرة من الاتهامات.

بلا نقطة في أول السطر، ومن دون خطّ تحت اسمه (كما فعلتم) سأحكي بعض ما اعرفه عن فخري كريم ، فهو رجل بلا حماية شخصية كما هو الحال مع الشخصيات (المرموقة) التي جئتم على ذكرها ، ويمكنة أن يجلس معكم في اي مقهى تختارونها ، وقد فعلها كما تعلمون في دمشق وبيروت وكردستان والقاهرة ، وهذا ما لا يجرؤ عليه رجل (سرق الملايين) و(اشتغل في خدمة المؤسسات المشبوهة) كما ورد في البديل وفي افتتاحية المجلة وفي هوامش سعلوات وطناطل الانترنيت.

مكتبه في دار (المدى) في دمشق ، أصغر حجماً من أي مكتب يشغله رؤساء التحرير ، يتميّز بالذوق واقتناء اللوحات الرائعة لكبار الرسامين العراقيين ، على عكس بقية المكاتب المبهرجة بالضوء الساطع والطنافس والمكسّرات ، ومنزله في دمشق ليس افضل من بيت الشاعر فوزي كريم ، مع أن فوزي (كما أنتم متأكدون) ليس نصاباً دولياً وليس سارقاً للحزب الشيوعي وليس عميلاً لمخابرات أية دولة ، فهل تراه (فخري كريم) يعيش في ذاك البيت للتمويه أم خوفاً من الحسد أم هروبا" من الضرائب ؟

لماذا تركتموه يسرح ويمرح في ارجاء الدنيا غرباً وشرقاً اذا كنتم تملكون دليلاً على (جرائمه!) كما وانكم تعلمون كل شيء عما يسمى (الانتربول) فهل ذهبتم للشكوى واعادة الأموال الى اصحابها ، أم هي محض عاصفة في فنجان أنتم أول من يعرف متى ستهدأ ؟

---

* ـ المقصود، كما لا يخفى، صدّام حسين. (الآداب).

أعتقد أنه يستحق المحاكمة على كل أفعاله الواردة في ردود السادة (الذين يتوجسون من ذكر أسمائهم) بشرط اثبات ذلك بالدليل القاطع ، أما أن نكتفي بالكلام والتلميح والهواجس والظنون ، فتلك هي أولى سمات البغضاء التي تفتك بالنفوس .

ارحموا أنفسكم من البغضاء!

ليس من غاية وراء ماكتبته لكم (هنا) فأنا احترم الأخ الدكتور سماح إدريس (تأريخاً ومجلة وعائلة وذاكرة) وأحترم الأخ الأ ستاذ فخري كريم (أسلوباً في الحياة ومأوى للأدباء) ولهذا أنا مرعوب حقاً مما أرى ومما اقرأ ، ومع الأوراق المنسوخة التي تصلني من الأصدقاء نقلاً عن الانترنيت والمزحومة بالمنابزات والضرب العشوائي على المواقع- التي ابعدني الحظ عنها _ اتساءل : هل انتهت مصائبنا في العراق وهل كفّ القتلة والظلاميون من زهق اللأرواح حتى نختار فخري كريم لقتله والتمثيل به حتى يكتمل (العرس الوحشي)؟!

اِرحموا أنفسكم من البغضاء !

عن موقع المدى ٢٠٠٨/١/٢٨
www.almadapaper.com

❖ ❖ ❖

مهرجان المدى والقضاء اللبناني

حازم مبيضين

بالرغم من انقضاء حوالي الثمانية أشهور على انعقاد مؤتمر المدى الثقافي في مدينة أربيل، عاصمة إقليم كوردستان العراق، فإن السجال لا يزال محتدما بين مؤيديه ومعارضيه من المثقفين العراقيين والعرب،وصولا إلى ساحات القضاء اللبناني بعد أن نشرت مجلة الاداب اللبنانية مقالا، هاجمت فيه رئيس تحرير المدى فخري كريم وصولا إلى الهجوم على شخص الرئيس العراقي الذي يشغل كريم موقع كبير مستشاريه، ما أجبر منظم المهرجان الذي شارك فيه اكثر من ٦٠٠ مثقف عراقي وعربي، على رفع دعوى قضائية يطلب فيها مبلغا ماليا زهيدا **واعتذارا من المجلة** على شكل نشرها لقرار القضاء اللبناني.

ونحن لسنا هنا بصدد تقييم ذلك المهرجان، مثلما أننا غير معنيين بمن قدم له الدعم من السياسيين العراقيين، وما إذا كان ناجحا، أو أنه مني بفشل ذريع، لكن الأخلاق تملي علينا أن ننظر إليه بإيجابية لأنه في الأقل استطاع جمع كل هذا العدد من المثقفين العراقيين من كافة أنحاء العالم، ليتحاوروا، وهذه ميزة يعز على الكثيرين القيام بها، وتعجز عنها بعض الدول، خاصة إذا لاحظنا الظروف الامنية الضاغطة التي يمر بها العراق، والتي تضغط في الكثير من الاحيان على إقليم كوردستان، وقد كان **انعقاد المؤتمر في عاصمته فرصة ذهبية للتكفيريين والصداميين لارتكاب مذبحة** تطول كل هؤلاء المثقفين الرافضين لفكرهم، لولا التنظيم الممتاز والحذر الذي كان في محله لدى السلطات الأمنية هناك.

ويلفت النظر أن رفع كريم لدعواه القضائية قد استثار عددا من العراقيين المناوئين للحكومة العراقية الحالية، فشنوا هجوما ضاريا على كريم من خلال بعض مواقع الانترنت، انتصارا ظاهريا للآداب، من خلال تعداد فتوحاتها الادبية التي لاينكرها عاقل، متجاهلين أنهم يتحدثون عن وقائع مرت عليها عشرات السنوات، وأن هذه المجلة لم تعد المنبر الاول والاخير للثقافة العربية، **بعد وفاة مؤسسها المرحوم سهيل ادريس**، واستغلالا لهذا المنبر للتنديد بزعيمي الحزبين الرئيسين في كوردستان العراق، باعتبارهما داعمين لمهرجان المدى، وقد خرج هؤلاء على المألوف **حين الصقوا بكريم صفات أعتقد أنه قادر على مقاضاتهم هم أيضا عليها لو أراد ذلك.**

المهم ان المنتصرين للآداب البيروتية يتكئون على مفهوم مفاده عدم أحقية رافع الدعوى باللجوء الى القضاء، وأن عليه الاكتفاء بالرد على الهجوم الذي شكك بتاريخه ومسلكه وذمته المالية من خلال مقال ينشر في المجلة التي شنت هجومها عليه، ويقرر هؤلاء أن اللجوء إلى القضاء نقيصة، وعيب، وكأن القضاء ليس معنيا باعادة الحقوق إلى اصحابها إذا اقتنع بدعواهم، **وكأن على الرجل اللجوء إلى الأساليب التي يؤمن بها هؤلاء والتي كانت سائدة أيام حكم صدام حسين ومن أبرزها كواتم الصوت** التي لم تترك مثقفا عراقيا معارضا من شرورها إلا من رحم ربي، أو من كان محميا في دولة تحترم أمنها وأمن المقيمين على أرضها.

سيقف فخري كريم أمام القضاء اللبناني يوم السابع من شباط المقبل* مسلحا بما يراه حقه، وفي مواجهته ستقف مجلة الآداب مسلحة بما تراه حقها وواجبها في النقد، رغم أنها خرجت في موضوعها حول المدى من ثوبها الادبي لترتدي ثوبا

* ـ أُجّلت الجلسة إلى ١٥ أيار (مايو). (الآداب)

سياسيا خالصا تشن من بين طياته هجومها على الطالباني والبرازاني والحكومة العراقية **ولا توفّر السعودية**، أو غيرها من هجمتها التي يرفض المزايدون أن يقاضيها عليها من طالته سهامها، وسيكون القضاء اللبناني الحكم والفيصل في الموضوع.

عن موقع المدى ٢٠٠٨/١/٢٩

❖ ❖ ❖

محمد مزيد

تفتُّح الوردة العراقية

يبدو أن بعضَ العرب، أضرّ بهم تفتُّح الوردةَ العراقية، وهي تتنسمُ هواءً عليلاً، بعد عقودٍ من ذبولِها بسبب الهواءِ الفاسد الذي كانت تزفره رئتا الدكتاتورية والشوفونية [كذا] المقبورة. وأذا كان هؤلاء العرب، المضَرورون، قد وجدوا في المفخخاتِ والعبواتِ الناسفة التي تفتك بالجسدِ العراقي البريء تنفيساً لغلواء نفوسهم المحتقنة، ووجدوا بأرسال الظلاميين من أبناءِ نجدٍ والحجاز وشمالَ أفريقيا وعربان الشام ما يريح ضمائرهم وقد ارتدى الظلاميون ثياب الحقد الاعمى لمواجهة " الوردة العراقية المتفتحة للتو " فأن مثقفين من العرب لا يقلون فتكاً حينما اغاظهم مهرجان ثقافة عراقي، عُقِدَ في أربيل، وكان المهرجانُ حقيقياً، ذلك هو مهرجان المدى الخامس، فكان نجاحهُ ربما قد آلمهم، وأبكاهم حضور المثقفين من جهاتِ الارض كلها، وهو يخوض في بحر ثقافةٍ جديدةٍ، ثقافة الهواء العليل.

مما لاريب فيه، أن جريرة فخري كريم الكبرى، تجلت بتمكنه من اقامة مهرجان ثقافي عربي كبير لا يطبل للدكتاتوريات ولا يجمل المذابح العربية، هذه الجريرة كانت بمثابة ابحار في الثقافة، من أجل الغوص في لججِها واصطياد دررها المدفونة،ولم تكن تلك الجريرة بحاجة الى " تدفق المدائح السلطانية لنشاطات راعيه الرئيس جلال طالباني " كما جاء في افتتاحية الآداب التي كتبها سماح ادريس، تلك الافتتاحية الشائنة، التي ارادت ان تنفس عن غيظ نفوس عربٍ اقلقهم " تفتح الوردة العراقية "، واقظ [كذا] مضاجعهم عراق جديد يصدّر (١٨٠) صحيفة يومية واسبوعية وشهرية، ويبث في الفضاء اكثر من اربعين قناة تلفزيونية ومثلها اذاعية، فضلا عن الحراك الدائم في مشاغل السياسة والاقتصاد والبرامج الاجتماعية والانسانية المتعددة في عراق اليوم المتدفق بالعمل، وبتعبير اخر فقد اصبح العراق ورشة عملاقة تنتج في كل الحقول " بذرات " خير لن يبقي محصوله محصوراً بين حدود بلاد الرافدين حسب، بل ربما يتسع الى الحواضر العربية والانسانية وهذا حسبي ما اغاظهم، فانطلقت في ثنايا تلك الافتتاحية كلمات مسمومة على شاكلة " وجود اسرائيلي في كردستان، وانتقاص بحقوق المرأة، وسجون تكتظ بالمعتقلين " وهي كلمات لاتستحق حتى التوقف عندها لهشاشتها وسذاجة في معلوماتها، وليس امام قارئ الافتتاحية الا ان يتضاحك من سوء الطوية وسوء التقدير لاعترافه ب" حرية التعبير النسبية " و " وجود ١٥٠ الف عراقي عربي لاجئ في كردستان " ولايود ان يستوضح الاخ سماح كاتب تلك لاقتتاحية [كذا] ان سبب وجود " ١٥٠ الف عراقي عربي في كردستان " يعود الى ما تنعم به المنطقة الكردستانية من أمان وخيرات وفرص عمل لا تتوفر في بقاع اخرى من الوطن بسبب ما فعله ابناء الأعمام من العربان من تفخيخ وتفجير وذبح وخطف وسلب باخوانهم العراقيين الذين لاذنب لهم سوى انهم قالوا مرحى للحرية.

ان القضية كما ارى اصبحت اكبر من كونها نيلاً من شخص فخري كريم الذي نجح في اقامة مهرجانات الثقافة العربية في اربيل لخمس سنوات مضت والذي نجح في لم شمل ثقافة الخطاب النقدي، ونجح في خلق اجواء تتفاعل فيها حرية المثقفين داخل فضاء يستنشقون فيه الهواء العليل في هذه الامة المكبلة بالقيود.

ان النجاح كما يبدو لي فعل فعله في النفوس " اللوامة " التي تضمر السوء لهذا البلد فكان لابد من وضع الشبهات والعراقيل في عجلة الحياة العراقية الجديدة، ولعل ما فعله سماح ادريس بانتهاك الكرامة الادبية لشخص الاستاذ فخري كريم يدل دلالة واضحة على ان **حملة " العربان " الظلاميين، سواء بالكلمات، او بالمفخخات**، لم تنل من عزيمة ابناء هذا البلد في استنشاق هواء الحرية العذب الذي من جرائه ستتفتح ورود عراقية كثيرة في غير مكان من الوطن.. مرة والى الابد.

عن موقع المدى، ١ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

حين تختلط الامور، وتلتبس المفاهيم والقيم، ينشط أولئك النفر من الانتهازيين وسماسرة السياسة في التصدي لكل ما هو مفيد وضروري، في بقايا القيم والاعراف الخيرة النبيلة، تلك التي يحاول المخلصون من المثقفين والادباء والمفكرين، الحفاظ عليها من الضياع والغدر، مضحين بذلك بالجهد وبالمال، لا بل بكل ما هو غال ونفيس، وذلك من منطلق فكري واخلاقي قويم. لا يخشون لومة لائم ولا شماتة موتور لئيم. وهم اذ يفعلون ذلك يعرفون جيداً ما ستكون عليه ردود الفعل لدى اولئك النفر من الانتهازيين فهم لابد من ان يبداوا بالغمز واللمز، وبالتشكيك والايهام، ولا ينتهون بالشتيمة والقذف بعد ان تعييهم الحيلة، وتخذلهم الوسيلة. وطالما ظل المثقف الملتزم، والمفكر الشريف ماضياً في ممارساته التنويرية والثقافية فهم يزدادون شراسة وعنتاً في الدس، والتشنيع وفي التشهير والافتراء وباطلاق الشائعات، والتقويل والتكذيب. والامثلة على ذلك كثيرة في الماضي البعيد والقريب، وفي الحاضر الراهن، ولعل اشدها وقاحة وصلفاً، واكثرها ادعاء وتمويهاً ما قام به سماح ادريس في مجلة الآداب من تهجم وافتئات وكذب، ومن قذف وشتيمة لشخص المناضل، والمثقف الكبير، والصحفي البارز، فخري كريم صاحب مؤسسة (المدى) للاعلام والثقافة والفنون ورئيس مجلس الادارة، رئيس التحرير لجريدة (المدى). مشككا بعطائه الفكري والثقافي **وبأياديه الكريمة** في دعم الجهد الثقافي والفكري، والادبي مهما ضؤل املا في **إغنائه ودفعه** إلى النمو والارتقاء. وكذلك محاولة التعتيم والتغييب لحضوره الفاعل في الحياة الثقافية والفكرية والادبية المتمثلة في نهارات (المدى)، وفي الاسابيع الثقافية والمهرجانات التي تسهم في لم شمل الادباء والكتاب والمفكرين والفنانين، وتوفير مناخات التقارب والحوار لهم، والتعرف على وجهات النظر المتباينة والمختلفة، واذكاء روح النقاش والجدل، والابداع في شتى صنوفه واجناسه، من خلال تلكم الفعاليات الكبيرة الباهرة....

وهنا لا بد من ان نسأل: ترى ما الذي يبتغيه فخري كريم، من **توزيع كتاب جريدة (المدى)، الشهري مجاناً** لجميع القراء؟ وما الذي يرجوه فخري كريم من مساعدة الادباء والفنانين المرضى منهم على العلاج والتداوي خارج العراق، لتعذر ذلك في العراق في الوقت الحاضر؟ وهنا تحضر في ذهني حادثة واحدة، ذات دلالة بليغة وعميقة في انسانيتها وسموها. لقد تعرض الفنان عبد الوهاب الدايني، إلى اعتداء اضر بعينيه حتى ليوشك على العمى، وقام فخري كريم مبادراً بتكاليف ارساله إلى الخارج لاجراء العملية والعلاج. وعندما جاء عبد الوهاب الدايني إلى مقر جريدة (المدى) ليشكر فخري كريم على هذا الموقف، قال له فخري كريم: ارجو ان تذهب سريعاً لاجراء العملية والعلاج وحين تعود سالماً، سأكون انا من يشكرك. هذا المثل واحد من عشرات الامثلة، لا اريد هنا تعدادها.

ومرة أخرى، ماذا يرجو فخري كريم من القيام **بمساعدة عشرات الشبان والشابات على الزواج**، وقيامه بالتكاليف المادية والمعنوية، لمهرجان الفرح الكبير هذا؟ وماذا ايضا يبتغي فخري كريم، من حث الفنانين على الابداع في مسابقات فنية جمالية للتصوير الفوتوغرافي وغيره؟ وماذا يرجو فخري كريم من مساعدة اصحاب المكاتب والباعة الصغار الذين تعرضوا إلى العدوان والارهاب، في تفجير شارع المتنبي؟ وماذا... وماذا وماذا..الخ.. كل ذلك يتحول لدى سماح وجوقته إلى عدوان على الامة العربية ومساندة الاستعمار والصهيونية هكذا ببساطة وخفة، كخفة النشالين والحواة.. لقد مرت مياه كثيرة تحت الجسور، وجرفت معها الكثير من الاسمال الفكرية الرثة، والاوشاب شبه الثقافية والمدعية. ولان المتخلفين والمفسدين لا يقرون بالتغيير ولا يعترفون بالقصور والتحجر، الذي يتلبسهم بوعي منهم او بدون وعي، فهم بمحاولات بائسة بليدة، يحاولون اسقاط خطاياهم وفشلهم واندحارهم، على الاخرين.. متطابقين مع القول: هناك أناس لا يعملون ويسيئهم ان يعمل الآخرون. لا بل اكثر من ذلك: هناك اناس لا يصدقون، ولا يستحقون، ويسيئهم ان يصدق الاخرون، وان يلتزموا بالحياء والعفة، والنزاهة.. **وهذا ما فعله سماح ادريس، والجوقة التي رافقته، في عوائه الكريه وزعيقه المنكر.**

وهو إذ يمارس هذا الدور، متوهماً انه يتحصن، بسمعة مجلة الآداب، الحسنة، إفتراضاً وزعماً. وينسى، او يتناسى، ان هناك العشرات من المآخذ والاتهامات الفكرية التي تطول مجلة الآداب، لصاحبها، **سهيل ادريس، الذي مارس الترويج طويلاً على صفحات الآداب لبعض الافكار الظلامية**، والرجعية والمتخلفة، من الآداب والفلسفات التي تدعو إلى اليأس والهروب، واحتقار الانسان **في نضاله ومناهضته للاستلاب والقهر**. ربما لا يدري سماح ادريس ان **الاب سهيل ادريس كان في الستينيات مثلا، يحذف بعض المواضيع والدراسات، والقصائد، والقصص، التي لا يرضى عليها النظام العراقي** آنذاك، من العدد الجديد للآداب، ويرسل هذا العدد المشوه خاصاً، بالعراق، أي العدد الذي يخلو من تلك المواضيع غير المرغوب فيها في العراق آنذاك... وهذا الامر كان يفضحه فهرست المجلة، اذ كانت عناوين المواد المستلة والمحذوفة من عدد العراق الخاص، مثبتة بالفهرست. وهذا عمل، اقل ما يقال فيه : انه عمل انتهازي نفعي، تجاري

رخيص وعمل غير اخلاقي، لانه يتخلى بسهولة عن افكار ومفاهيم وطروحات كان اصحابها يحاولون ايصالها إلى القارئ العراقي، الذي احس وقتها وبشدة، بالغدر والخيانة، إزاء هذا العمل المبتذل **والرخيص**.

هذا المثل عارض وربما يكون بسيطا مقارنة، بأمثلة عديدة خافية ومعلنة. وانا هنا لا اريد تقديم احصائية بكل المآخذ والانتقادات التي كانت توجه لمجلة الآداب ولصاحبها سهيل ادريس، ولا في نيتي تتبع سقطات وممارسات سهيل ادريس في الكثير من مواقفه واعماله. المهم في الموضوع هو ان لا يتصور سماح ادريس والجوقة التي ترافقه ان الحصافة، والعقل، والضمير، ستكون مهزومة وعديمة الجدوى، مع تخرصاته وافتراءاته ودجله. واذا كانت الثقافة كما يقول استيفان تسفايج: هي مخاتلة الحياة المادية الفظة، والحصول منها على الفن والحب، أي على أرق وأجمل ما فيها وابدعه، وأكثره سحراً وغموضاً. اذا كانت الثقافة هكذا فهي عند سماح ادريس وجوقته، مغازلة ومعاقرة الحياة المادية، والاختباء تحت عباءة سدنتها، ومباركة فظاظتها ووحشيتها، وعنتها وجورها، والتضحية بالفن والاستعاضة عن الحب بالكراهية، وعن الجمال، بالموجدة والحقد.

عن موقع المدى، ٢ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

صـــلاح زنكنة

يحرثون في ارض بور..

من حين لآخر، يتصدى شخص هنا، وآخر هناك، لمشروع ثقافي وطني، ويجعل نفسه وصياً على المشروع الثقافي العراقي، وحينما تبحث عن تأريخه، تجده فارغاً لا همَ له سوى النيل من المبدعين، لإعتقاده انه بذلك، يصعد درجة الى اعلى، متناسياً ان قامة الابداع، هي اطول منه، بكل المقاييس. اما المبدع الحقيقي فهو الذي يتحدث بموضوعية عن الاخرين، دون التجاوز عليهم ويكون بمثابة الشمس التي تكشف الحقيقة، وتلعن الظلام الذي يلف، اولئك المرضى الذين باتوا هذه الايام، ينالون من المؤسسات الثقافية التي تديم المشروع الثقافي العراقي الحقيقي، ومنها مؤسسة المدى التي ظهرت بفعالياتها، من خلال اسبوع المدى الثقافي، ونهارات المدى، **وتخصيص رواتب للادباء والفنانين العراقيين لتجاوز محنتهم** في هذا الظرف الصعب متناسين ان هذه المؤسسة هي عراقية، وتسعى دائماً لاظهار الابداع العراقي وتبني اكثر من مشروع يصب في الصالح العام. انهم يتكلمون لافشال المشاريع هذه، وخلق حالة من الفوضى والضوضاء، وكانهم يحرثون في ارض بور، وهم في الحقيقة كذلك فالابداع العراقي يسير بخطوات جادة، نحو افق التالق والتعبير عن الوضع الجديد، دون ان يلتفت الى الوراء، او ينال منه، هذا الضجيج وهذه **الابواق التي اقل ما يقال فيها انها ماجورة**، وهنا اتذكر ما قاله الشاعر الانكليزي روبرت براوننغ: انني امضي لأُبرهن على روحي. وهذا هو حال الابداع العراقي، يبرهن على روحه، وحقيقته، وتجلياته ولا يهمه الضباب الذي يخلفه المتصيدون في الماء العكر.

عن موقع المدى، ٢ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

كاظم الحجاج

لانهم يكرهون العراق يا عبد الستار

منذ مطلع الخمسينيات تحديداً، كانت مجلة (الآداب) البيروتية هي المنبر الاول والمفضل للادباء والكتاب والمثقفين العراقيين- الرواد واللاحقين على حد سواء-. ويومها كان العراق عضوا رئيساً في (حلف بغداد) ويومها كانت بغداد الملكية متهمة بالعمالة للانكليز.. بل كان العراق محتلا اصلا وفصلا. لكن لم يعان الكتاب والادباء والمثقفون العراقيون – وهم تحت الاحتلال – من قيود النشر في (الآداب) ولا في غيرها كونهم عملاء للمحتل، كما لم يطالبهم احد بالانتماء إلى (المقاومة) ربما لانها كانت (جنوبية) خالصة.. ولانها كانت مقاومة شبه سلمية وحضارية، ومن دون (ذبّاحين)-.. كما لم يصل عداء العروبيين لملوك العراق المحتل- زمانذاك- ولوزرائه واحزابه ولمجلس نوابه، ومن ثم لشعبه كله، إلى درجة العداء التي هي عليها الآن، (لن نسأل: لماذا؟!).

لكن موقف (الآداب) ومعها التيار القومي والعروبي قد تبدل عدائياً بعد ثورة تموز ١٩٥٨ يوم تخلص العراق من الاحتلال البريطاني ومن حلف بغداد، بل حتى خروج الدينار العراقي من دائرة الاسترليني، فمع مفاوضات قائد الثورة عبد الكريم قاسم مع شركات النفط الاحتكارية، يقوم التيار القومي العروبي الناصري العراقي (بمساندة) المفاوضات تلك، بالاضراب، (البطولي) لسواق سيارات الاجرة في بغداد، بعدما اضطرت حكومة الثورة، تحت ضغط الشركات، إلى

اضافة عشرة فلوس على سعر لتر البنزين! وهو الاضراب الذي لا يزال البعث العراقي يتباهى به، مع انه كان خيانة وطنية بأبسط مقاييس الوطنية!... وكانت التهمة الجديدة التي وجهت إلى العراقيين والى حكومتهم الثائرة-زمانذاك-هي ليست العمالة لاحد، بل لان العراقيين- ومعهم ادباؤهم تحديدا قد تحولوا فجأة إلى (شعوبيين) وملحدين في الوقت نفسه بعدما "احرقوا القرآن الكريم في ساحات بغداد" على ذمة (صوت العرب) و(احمد سعيد).

ويتفاقم العداء العروبي (أدبيا) في مؤتمر الادباء العرب، الذي انعقد في الكويت، حيث هوجم الوفد العراقي من قبل الادباء القوميين العروبيين اياهم علما ان الوفد العراقي كان برئاسة (الجواهري) الذي كان رمزا للوطنية العراقية والعربية على السواء. (ولم يكن العراق محتلا).

وكان احتفاء (الآداب) الشهير بشاعرنا الكبير (البياتي ليس لانه صار كبيرا فجأة عند (الاداب) بل لانه (استعاد وجهه العربي). بعدما كان وجهه اعجميا-شعوبياً-ماركسيا!-..

واليوم كذلك يقف **الدكتور سماح ادريس مع مومياءات (الامة)** التي هي من المحيط الهادر حتى الخليج الثائر! يقف مع خير الدين حسيب ومعن بشور ومع (مشروعهم) اللغوي الانشائي- الذي فشل منذ نصف قرن واضاع فلسطين إلى الابد يقف معهم **كي يشتموا العراقيين وأدباءهم حصراً**، كونهم لم يقفوا مع (المقاومة) التي ذبحت آلاف العراقيين على الهوية، واحرقت شارع المتنبي ودمرت الكهرباء والجسور بين الكرخ والرصافة وفجرت فقراء العمال وقتلت الادباء والصحفيين وأساتذة الجامعات والاطباء والمهندسين وشيوخ عشائر الانبار، والتي اغتصبت صغار العراقيات من مدن غرب العراق "بزواج المسيار" من قبل (مجاهدي القاعدة).

ويقف الكورال العروبي المهزوم صارخا ضد مشروع ((المدى)) الثقافي الكبير لانهم-يا عبد الستار- ضد أي نجاح للعراق الجديد ولانهم ضد أية استعادة لوجه العراق الجميل، بديلا عن وجهه الكالح العتيق البالي. فهل هم ضد الاحتلال حقاً؟ وهل هم مع المقاومة حقاً؟ ام تراهم ضد (احتلال) بعينه؟ ومع (مقاومة) ما غيرها؟ فما موقفهم من ادباء الدول التي تخلت عن المقاومة لتحرير مدنها المغتصبة: الاسكندرونة والجولان وطنجة وسبتة ومليلة.. وما رأيهم بأدباء بعض دويلات الخليج التي فيها قواعد امريكية ثابتة، وتلك التي فيها جنود امريكيون، يفوق عددهم عدد نفوس مواطنيها؟

نرجوكم ايها السادة ان تزوروا الانبار وديالى والموصل، لكي تسمعوا رأي اهلها (بالقاعدة) التي تتزعم (المقاومة) منذ اربع سنين؟ نرجوكم ان تسمعوا من زعماء الكتل والاحزاب العراقية في الداخل واغلبها يعارض الحكومة ويعادي الاحتلال علنا، ولديهم صحف وفضائيات معارضة.. اسألوهم عن رأيهم بخروج المحتل الآن. وقبل ان تكتمل الدولة العراقية، بمؤسساتها وبجيشها وشرطتها وحرس حدودها.. سيقولون لكم جميعاً: **ان خروج المحتل الآن كارثة، لان البديل هو (دولة العراق الاسلامية)**.

في الوسط كله وفي الجنوب كله، مدعومة من (القاعدة) ومن دول الجوار. فهل تريدون هذا المصير الكالح الملتحي للعراق؟ ربما لانكم تكرهون العراق سواء أكان ثائراً (شعوبياً) ام محتلاً (طالبانيا)!.

انهم يكرهوننا، مهما كنا.. يا عبد الستار ناصر!

عن موقع المدى، ٢ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

الثقافة والشرف ومواثيقه

فالح عبد الجبّار

يحلو لنا رهط المثقفين ان نعتقد باننا نوع من الاوصياء او الحكماء، او القيمين على الرائح والغادي. كما يحلو لنا ان نصور المثقف، وبه نصور أنفسنا، بانه نوع من حامل المعرفة، وسادن الحقيقة، وحامل اختامها. ونلجأ في هذا النفخ المستمر للذات الى شتى النظريات، بفهم او بنصفه، لتمجيد كائن ثقافي لا وجود له إلا في المخيلة، كائن يشبه قديس القرون الوسطى، المرتدي بزة عسكرية، محارباً التنين، رمز الشر المطلق. واكاد اجزم ان هذا النفخ في الذات بتصوير المثقف كائناً فوق الزمان والمكان، والحقائق، مالكاً لكل الحقوق في قول ما يشاء، ضد من يشاء، لحظة يشاء، هو صناعة عربية فارغة.

لنعترف ان الثقافة تنتج في مؤسسات رسمية، خاضعة لكل قيود وضوابط الدولة، او مؤسسات اهلية تخضع لمتطلبات السوق التجارية (سيان ان كانت مؤسسة الثقافة دار نشر او جريدة، او مجلة، وسيان ان كانت تُعنى بالادب، أو بقلته) أو

مؤسسات تقيم اودها من معونات دول ومؤسسات واحزاب، او هي مزيج من هذا وذاك. والمثقف الفرد، ان لم يكن مالكاً، او مديراً، هو في احد هذه الحقول: الدولة، المؤسسة الاهلية التجارية، او المؤسسة الاهلية الخيرية. وتشكل هذه المؤسسات، مثلما تشكل توجهاتها، المناخ العام، الذي تتحرك وسطه الخيارات، عند المثقفين واللامثقفين سواسية. واذ ننزع المثقف في الخيال من كل هذه الروابط الفعلية يتحول الى كائن خرافي، قادر على كل شيء، أو في حال عجزه، الى نوع من قديس او شهيد، او في حال اختلافه الى نوع من ابليس.

يقال ان المثقف هو منتج المعرفة، او صانع رؤى، او مبدع القيم الجمالية، واذا كان لنا كل هذا الحشد منهم فمن اين للعالم العربي كل هذا الجهل، وكل هذا القبح، وكل هذا الانعدام للرؤية. اكبر امراض الثقافة العربية هو جهلها بواقع انها في حاضنة مؤسسات تشكل شروطا قبلية لعملها وخياراتها، وان هذه المؤسسات منقسمة وموزعة على تيارات السياسة، قوى واحزاباً ودولاً، حيث يختلط التشوّف الى "الحقيقة" التي يتردد ذكرها كثيراً، بالولاء والانحيازات، بل حتى المصالح، الفعلية او المتصورة، التي تغلق على المثقف مسالك فرديته، هذه الفردية التي تغذي نزوع المثقف الى الاحتفاظ بمسافة نقدية من جماعته، سيان ان كانت هذه الجماعة حزباً او محفلاً فكرياً، او دولة وطنية، أو جماعة قومية. احتقار هذه المسافة او احترامها، هو الفرق بين انضباط القطيع، والخروج عليه، الفرق بين الداعية، المبشر، المنزه، الرافض لكل ما عداه، والدارس، المتأمل، بحذر، في قضايا الاختلاف، والتباين.

يقال ان من شيم المثقف، او بالاحرى مثال المثقف، انتاج القيم الكونية، والالتزام الشامل بها، كحرية الرأي، وحرية الضمير، حرية المعتقد، حرية الاختيار، دولة القانون، الذود عن حق الحياة، وحق التملك، وما لا ادريه من قائمة حقوق قد لا تنتهي. واذكر هنا نقد سارتر لألبيركامو في فهم هذا الاخير للحرية على انها القدرة على ان يفعل المرء ما يشاء، مقرعاً اياه بأن لكل موناد (فرد) الحرية ذاتها، وان الحد الوحيد للحرية هو عدم الاعتداء على حرية الغير في الرأي والقول والفعل. **ولتنظيم وحماية حقول الحرية هذه استنفدت الحضارات جهودها لوضع قوانين ناظمة تحمي الرأي**، ولا تعاقب الا على الافعال. ثم ارست قانوناً أعلى يبيح حرية الرأي على قواعد ناظمة تحمي حامل الرأي من جانبه، وتلزمه من جانب آخر بتحمل مسؤولية اخلاقية ومادية عن نتائج ترويج الآراء، مثل الحث على الكراهية الطائفية، او التأليب على افعال القتل والابادة بسبب اللون والعرق والدين والمعتقد، اوايراد اتهامات بافعال لم ترتكب. ويسري ذلك حتى على ممارسة الشعائر الدينية، فهي مقيدة بعدم المساس بحياة الآخرين وممتلكاتهم وحريتهم في دينهم المغاير.

بتعبير آخر، ثمة حدود قانونية، مدنية للسجال، والنقاش، والرأي، تحمي المتحاورين وحاملي هذا الرأي أو ذاك من دنس التعدي على حياة الغير، ووجوده من جهة النظر الثقافية في صيغتها المثالية الخالصة، لا رأي ولا قول ولا وضع محظور على النقاش. فالنقاش هو روح اية حضارة تريد لنفسها ان تكون جديرة بهذا الاسم. ولكن لا قول ولا نقاش ولا رأي فوق ضوابط القانون، الذي يميز تمييزا واضحاً بين الاجتهاد الفكري، والقذف والتشهير، الذي ينسب الى اية شخصية، اعتبارية او فردية، افعالاً لم يرتكبها.

وفي اطار الاحتقانات الايديولوجية والسياسية المحتدمة في عالمنا العربي والاسلامي، غالباً ما يذهب نقد الناقد من تفنيد ومناقشة الرأي، الى ترسانة كاملة من اتهامات اقلها الخيانة، والعمل في المخابرات، من الموساد الى السي آي أيه دوما (لا ذكر لمخابرات الدول العربية مثلاً او غيرها)، ويضاف الى رصيد هذه الخطايا المميتة خطايا شخصية من قبيل: مغامرات نسوية، واخذ اموال من هذا وذاك. وفي هذا المزج بين السجال الفكري، المسند في القانون والاعراف، والقذف والتنابز، الذي لا سند له في قانون او اعراف، يقوم صاحب " الرأي " بفعلين متناقضين في صلب القانون. وهذا ما أجده في "ميثاق الشرف " الذي صدر مؤخراً على خلفية دعوى قضائية لرئيس دار المدى، ضد رئيس تحرير مجلة الآداب البيروتية، تدور حول **مقالة للاخير تجمع بين النقد والتشهير**. وتفاقم التوتر بنشر ما يشبه الحملة في جريدة " الاخبار " البيروتية. ينص الميثاق المذكور على الايمان بالانسان " في ابداء رأيه قولاً وكتابة وفعلاً " حيث يخلط كاتب النص بين القول والكتابة، وبين الفعل، برغم ان التميز بين القول والكتابة وبين الفعل مؤسس اصلاً في القانون، وهو ما نراه في ديباجه الدستور اللبناني مثلاً التي تكفل " حرية ابداء الرأي قولاً وكتابة وحرية الطباعة". ومن الواضح ان القول والكتابة والطباعة لا تتساوى مع القول والكتابة والفعل. لا ريب ان حرية الفكر (مداسة) في طول العالم العربي وعرضه، من ذا ينعم بحرية مناقشة نظام الحزب الواحد، او احتكار المعلومات، او نقد السلطات، او الاحزاب البيروتية، او بحث التراث الفكري والديني. ان كنا بحاجة لميثاق يحمي الحريات، فها هنا ارض السجال الاكبر، على

ارضية القانون الشامل، هذا الشرف الاكبر. يتحدث العرب كثيراً عن الشرف، الذي يودعونه مرة في جزيء معين من جسم المرأه، ومرة في مشابه له في الرجل، ثم ينسونه في ضبايا العقل. وينسى كتابنا ان الشرف هو قواعد اخلاقية ناظمة للسلوك القويم، وانه الاساس الذي استمدت منه الحضارات مادة الشرائع، فالشرائع هي الشرف الانساني المنقى من الاحوال العرضية ليغدو شاملاً.

عن موقع المدى، والحياة ٢٠٠٨/٢/٢

❖ ❖ ❖

حول مهرجان المدى الثقافي

عبد الرزاق الصافي

بعد ايام قليلة، أي في السابع من شهر شباط (فبراير) ٢٠٠٨ ستنظر احدى محاكم بيروت في الدعوى التي اقامها الزميل فخري كريم على السادة سماح ادريس وسهيل ادريس وعايدة مطرجي، المسؤولين عن مجلة الآداب اللبنانية، بسبب المقال الذي كتبه سماح ادريس ونشره في افتتاحية المجلة المذكورة، وحوى الكثير من الاتهامات الظالمة **والسباب** الذي لم يقتصر على الزميل فخري كريي، بل شمل **الكثيرين** من ذوي العلاقة بهذا الشكل او ذاك، بالمهرجان في دورته الخامسة التي انعقدت في ربيع العام الماضي في مدينة اربيل، عاصمة اقليم كردستان العراق، بدءاً من رئيس جمهورية العراق الاستاذ جلال طالباني مروراً **بالمئات** من المثقفين والمبدعين العرب والعراقيين الذين احبوا المهرجان، وشاركوا فيه بأبحاثهم ونتاجاتهم الادبية والعلمية والفنية من قصائد ومسرحيات وافلام سينمائية ومعارض للفن التشكيلي وحفلات غنائية وفعاليات فولكلورية وغيرها من النشاطات الثقافية الابداعية، التي تتعلق بالواقع الثقافي والاقتصادي والاجتماعي والسياسي العراقي حاضراً ومستقبلاً.

وحاول السيد سماح ادريس استباق المحاكم بتشديد الحملة على فخري كريم واستدراج الكثيرين من اللبنانيين وغيرهم للتضامن معه تحت واجهة "حرية ابداء الرأي"، واستثار عددا من خصوم الزميل فخري كريم من العراقيين الذين يعادونه **ويعادون الحزب الشيوعي العراقي والعملية السياسية الجارية في العراق**، اذ بادر هؤلاء وغالبيتهم من المنبوذين سياسياً، والذين لم تعد لهم من مهمات غير شتم القوى الديمقراطية **وقيادة الحركة القومية الكردية**، واقليم كردستان العراق باساليب بذيئة يمجها الذوق السليم.

ونظراً لكوني ممن ساهموا في مهرجان المدى الثقافي في دورات عدة، منذ العام ٢٠٠٢ رايت من المناسب ان اشارك في الرد على الحملة الظالمة البذيئة على المهرجان وعلى منظمه والقائمين به والمشاركين فيه، فاقول ان "حرية ابداء الرأي" يجب ان تظل مقصورة على ابداء الرأي، باسلوب حضاري، متزن، لا ان تنحدر الى مستوى الشتيمة والتعريض بالآخرين، والمس بكراماتهم، وتشويه سمعتهم بالافتراءات والاكاذيب، كما هو حاصل في مقال السيد سماح ادريس.

اكتب هذا لا دفاعاً عن الزميل فخري كريم، ومؤسسة المدى الثقافية، ذات الافضال الكثيرة على الثقافة العربية، ومهرجاناتها الفريدة، التي فاقت بروعتها وغناها غالبية المهرجانات في العالم العربي من مشرقه الى مغربه. واتذكر واقعة ذات دلالة، وهي ان السيد عبد الحليم خدام، الذي كان نائبا لرئيس الجمهورية العربية السورية، وعضواً مرموقا في القيادة القطرية لحزب البعث العربي الاشتراكي الحاكم في سوريا، كان - أي السيد خدّام - قد تساءل في اجتماع للقيادة القطرية، عقد في اعقاب احد المهرجانات الثقافية للمدى التي اقيمت في دمشق، قائلا: نحن دولة، لدينا عشرات السفارات في العالم العربي وفي خارجه، ولدينا عشرات المكتبات الثقافية، لماذا نعجز عن ان نقيم مهرجاناً ثقافياً واحداً يضاهي المهرجان الذي تقيمه مؤسسة المدى ورئيسها فخري كريم؟!

ولتجنب الاطالة لن اكرر ما ذكره العديد من المثقفين العراقيين والعرب، وفي مقدمتهم القاضي زهير كاظم عبود والدكتور كاظم حبيب والروائي الكبير فؤاد التكرلي والاديب عبد الستار ناصر، والشاعر عباس بيضون وغيرهم من الاشادة بدور مؤسسة المدى ورئيسها وبالمهرجان. وبودي ان اضيف الى ما ذكروه من ابداعات هذه المؤسسة المرموقة ثقافيا وادبيا وسياسياً واجتماعياً فأذكر بنهارات المدى، التي كان من بينها، **رعاية الزواج الجماعي لمئة واربعين شاباً وشابة**، وتكفلها بجميع نفقاته وتسميته بـ "لمّة فرح" **اشاعت الفرحة في بغداد المبتلاة بجرائم الارهابيين من انصار تنظيم القاعدة وايتام نظام صدام حسين**، ومبادرة المؤسسة الى احياء شارع المتنبي من ركام التفجير الارهابي الاجرامي، وتحدي المفجرين بتقديم مسرحية في الشارع شارك فيها عدد من خيرة الفنانين المسرحيين العراقيين، وكذلك رعاية المؤسسة الأطفال المبدعين وذوي الاحتياجات الخاصة، وتكريم المبدعين العراقيين من فنانين وادباء، ومساعدة المبدعين العرب المحتاجين، وغيرها من النشاطات والفعاليات التي انفردت بها هذه المؤسسة الرائدة.

ان التهجم على هذه المؤسسة ومؤسسها ورئيسها وعلى نشاطاتها، ومن بينها مهرجانها الثقافي، انما هو جزء من التهجم الظالم على العراق الجديد الذي تسعى قواه الوطنية الديمقراطية الى بنائه في ظل ظروف غاية في الصعوبة والتعقيد ليكون عراقاً ديمقراطياً فيدرالياً موحداً، وبناء دولة القانون والمؤسسات الدستورية.

واخيراً بودي أن اطرح سؤالاً: هو **لماذا الخوف من المحاكمة** اذا لم يكن مقال السيد سماح ادريس قد خرج عن مألوف النقد النزيه، وتورط بما يوجب المسؤولية الجنائية؟!

عن موقع المدى، ٣ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

فؤاد التكرلي

دفاعاً عن حقّ الدفاع عن النفس

تساوق عنصران متميزان في نفسي وعملا على توجيه حياتي وعلى تغييرها أحيانًا كثيرة: إنهما الأدب و القانون.

درست القانون في الجامعة، واشتغلتُ بعد التخرج في المحاكم وفي القضاء المدني خمسا وثلاثين سنة و نيف. أما الأدب فقد احتل حياتي كلها منذ كنت مراهقاً حتى الآن وأنا في الحادية والثمانين من عمري. كان هذان العنصران يتبادلان التأثير فيما بينهما خلال الأعوام التي تجاورا فيها؛ فإذا بلغة الأدب عندي تشذب نفسها بوحي من لغة القانون الصارمة الواضحة، واذا بلغة القانون لديّ تكتسب رداءً خفيفًا من الرقة الأدبية والجاذبية. لم يعتدِ القانون على الأدب، ولا كان الأدب قادراً على تجاوز حدود القانون وحقائقه؛ هنالك، في الأساس، احترام عميق متبادل لا يمكن نكرانه. ولقد حاولت جهدي خلال هذه الأعوام الطويلة، أن أتصور القانون بمواده وقواعده أمامي وأنا أمارس الأدب، أي اني كنت مسبقاً أحاذر من اختراقه بحيث أقع أنا وما أكتب تحت طائلته التي لا تفرق بين أديب كبير أو صغير.

خطرت لي هذه الاسترجاعات لعلاقتي ذات الحدين، حين اطلعت قبل أيام وبمحض الصدفة، على افتتاحية مجلة "الآداب" المنشورة في عدد أيار/حزيران بتاريخ ٢٠٠٧/٦/٥ بقلم د.سماح سهيل ادريس رئيس تحرير المجلة وتحت عنوان (نقد الوعي النقدي: كردستان- العراق نموذجاً). المقال بايجاز يتضمن في مقدمته انتقاداً لاذعاً لمن يعتبرهم دعاة الحداثة، حين يمسك بهم وهم يدافعون بشكل غريب عن عتاة الفكر الجامد. و من خلال كلام د. سماح ندخل في صلب السياسة و مذاهبها، ونجده **يشير، موارباً ، إلى تأييده لأنظمة دكتاتورية تدّعي الصبغة الوطنية**. ثم ينتقل بعد ذلك إلى لب موضوعه الأساس وهو الوضع في كردستان-العراق. لا شك أنّ لكل عربي غيور ان يتناول هذه المشكلة الدولية المستعصية، وأن يدلي برأيه فيها، خاصة و أنها تدخل في صميم وجود دولة العراق أو عدم وجودها. إلا ان اللافت للنظر هو ان د. سماح ادريس تناول هذه القضية الكبرى.. قضية كردستان -العراق.. من وجهة نظر مهرجان اسبوع "المدى" أو بالأصح بسبب حصول هذا المهرجان في الربيع الماضي. وبرغم ان هذا التناول النقدي و الفكري للوضع في كردستان-العراق يبدو مبتكرًا بعد ان تعرض فيه د. سماح ادريس بانفعال إلى وضع المرأة في هذا الإقليم ووضع العراقيين اللاجئين إليه وقضية الوجود الصهيوني على ارضه ووضع السجناء وانتهاك حقوق الانسان، الا أن ذلك لم يكن يقتضي بالضرورة مهاجمة رئيس جمهورية العراق جلال طالباني و مستشاره الأقدم الاستاذ فخري كريم؛ الا اذا **افترضنا ان د. سماح ادريس يعتبرهما مسؤولين مباشرين عن تردي الوضع في كردستان**؛ و هذا باعتقادي تجنّ كبير عليهما، فالمسألة الكردية كما هو معلوم مسألة دولية و ذات امتدادات زمنية عميقة و اختلاطات اجتماعية في غاية التعقيد، بحيث لا يمكن منطقيا ان نعتبر شخصين فقط هما المسؤولان عن كل ذلك..

ان النقد الفكري البناء يستند إلى قاعدة أدبية تحاذر ان تتجاوز النقد إلى التجريح وتحاول ان تكبح جماح الاندفاع العاطفي غير المسؤول، لئلا يصطدم مع القانون ويخرق مواده فينقلب السحر على الساحر ويجد هذا النقد الفكري البناء نفسه قد تهشم من دون أن يعرف الأسباب. و اذ أعود، مع الاعتذار، إلى التوطئة في أول هذه الكلمة، فلقد كانت لدي نقطة واحدة بشأن افتتاحية د. سماح ادريس و ملاحظته حين تسلم لائحة الدعوى.. فمع اعترافي الكامل بحقه ان يبين رأيه كما يشاء وبأية طريقة يراها ملائمة وان يتحمل نتائج كل ذلك؛ إلا اني - كقاض سابق- اندهشت لرد الفعل الذي انتاب د. سماح ادريس حين استعمل الاستاذ فخري كريم حقه المشروع بإقامة الدعوى حسب الأصول لدى المحاكم اللبنانية. لقد فاجأ ذلك العمل القانوني د. سماح ادريس. كان بوده أن يتلقى رداً من الاستاذ فخري كريم فتلقى دعوى. كان يريد ان يتناقش ويتناقش ويرد على الردود وعلى ردود الردود، وفي الأثناء يمكنه ان يعاود ترديد ما قاله في افتتاحيته من أمور سيئة بحق الاستاذ فخري كريم. غير ان المعتدى عليه لجأ إلى المحاكم، وحسناً فعل، فلسنا في أزمنة الانتقام الشخصي او التسويات العشائرية. ذلك ان هذا الحق، حق الدفاع عن النفس، هو حق مقدس أخذت به كل قوانين العالم المتحضر؛ وفي ظني ان من باب الاحترام للنفس ان نأخذ به نحن ايضا و ان نبجله ونعترف به كحق مشروع. و هذا يذكرني بما يكتبه الاخوة في

(البديل) على موقعهم الالكتروني. لقد اطلعت على صفحات غريبة من السباب و الحط من كرامة شخصين هما الأستاذ فخري كريم والمحامي الأستاذ أحمد الزين؛ وفي رأيي ان هذا الكلام ينال منهم أكثر مما ينال من الشخصين المذكورين، خاصة بالنسبة إلى المحامي أحمد الزين، فالرجل يدافع عمن يطلب منه ذلك لأنه درس القانون ومارس المحاماة سنين طويلة ومهنته تستدعي ان يدافع عمن يعتقد انه مظلوم. و في اعتقادي، انه لن يتأخر عن مساعدة الأخوة في (البديل) قانونياً اذا كانوا بحاجة لهذه المساعدة وطلبوها منه. لماذا نعتبر ان من حقنا ان نوجه التهم الخطرة احيانا إلى كل من نسمع عنه اموراً سيئة وغير ثابتة او من نكرهه سياسيا او من نظن انه يعمل ضدنا ولا يتلاءم موقفه مع طروحاتنا الفكرية والمزاجية؟ تلك قضية خطيرة يتمتع الشعب العربي بلوكها كتابة و شفاهة و لا أعرف سببها او مصدرها.

أغرب ما اطلعت عليه حديثاً دعوة من مثقفين عرب شغلوا مناصب كبيرة في غفلة من الزمن، يطلبون الا تحاكم المجلات الأدبية عما تنشره. هذا طلب عجيب و قصير النظر، ولعل هؤلاء تصوروا الأدب قصائد وقصصاً وروايات فقط و لم يخطر لهم انه قد يتضمن اضافة إلى ذلك مقالات و افتتاحيات (نقد الوعي النقدي: كردستان-العراق نموذجاً) سياسية او اجتماعية تمس اخطر القضايا التي تخضع لسلطة القانون. هذه أمور يجب ان تحسب بدقة قبل توقيع المطاليب.

و في اعتقادي ان مثل هذه الطلبات يمكن ان تتوسع – و لمَ لا؟ – فتشمل عدم محاكمة مؤسسات رجعية هي على يمين اليمين و قد تصل إلى عدم محاكمة ميليشيات "وطنية" و أعضائها – و لمَ لا؟– مادمنا مع النقد الحداثي البناء؟

عن موقع المدى، ٣ شباط ٢٠٠٨ (عن جريدة الزمان)

❖ ❖ ❖

أسابيع (المدى) هوية وتاريخ

كاظم غيلان

لا اعتقد ان من حق أي احد ان يطلق هكذا اتهامات غير مسؤولة مليئة بالحقد والتحامل غير المبرر على منجزات ثقافة العراق الوطنية الجديدة، لقد كانت فعاليات (المدى) بمجملها وليس باسبوعها فقط تعبيراً حياً عن فاعلية المثقف العراقي ونتاجه الابداعي، وبوصفي احد المشاركين في فعاليات (المدى) لم اشعر بشيء يوحي بالوصايا القسرية التي اراد صاحب مجلة الآداب ان يشيعها، انما عبرت عن آرائي بكامل حريتي. هذا من جانب، ومن جانب آخر فان مؤسسة (المدى) هي صاحبة المبادرات الكبيرة لرعاية ادباء العراق ودعمهم بغض النظر عن ولاءاتهم وتوجهاتهم، فهناك نهارات (المدى) ودعم مشروع تأهيل شارع المتنبي ناهيك عن مشروع صندوق التنمية الثقافية التابع لـ (المدى)..

ان القسر الذي يعنيه صاحب الرأي واعني (الآداب) يفتقر للموضوعية ولربما يحمل أكثر من غرض يراد من خلاله توجيه رماحه الطائشة صوب مؤسسة ثقافية عراقية خالصة في ظروف يشهد فيها العراق نهضة جديدة تشكل مصدر ازعاج لكل اعداء الحرية والابداع.

ان الهجوم على المثقفين العراقيين المشاركين في فعاليات (المدى) لا يشبه إلا زوبعة في فنجان، وان **كان صاحب الهجمة حريصاً علينا فلماذا لم يكن هو صاحب المبادرة، لرعايتنا ودعم مشاريعنا**، كان عليه ان يطلع على محاور اسبوع (المدى) وهوية وتاريخ كل من شارك فيه اما ان يطلق احكامه البائسة هكذا فله كل الحق ايضاً لأن ثمة شعوراً مريراً بالخسارة ينتابه، لربما بدأت ارصدته الاخلاقية بالتراجع، اتمنى منه ان يبرهن مرة واحدة على عملية – قسراً – أو (املاء) موقف من قبل (المدى) علينا حتى يكون في أقل تقدير صاحب شرعية في اتهامه.. وادعوه إلى ان يترك ما لا يعنيه وينصرف لمؤامرات أخرى غير هذه المؤامرة الفاشلة والتي لفظت انفاسها وهي في مهدها.

عن موقع المدى، ٣ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

عن مهرجان (المدى) وسماح الوريث

باسم عبد الحميد حمودي

كانت (الآداب) في الخمسينيات والستينيات مجلة تجمع الكثير من الكتاب العرب اضافة الى مجلات اخرى اسهمت في خدمة الثقافة العربية وحركة التجديد الثقافي. وقد قام معظم الجهد في الكتابة والنقاشات التي تمت في المجلة على اقلام الشعراء والكتاب العراقيين الذين اسهموا بنشاط كبير وواضح فيها منذ الاعداد الاولى. وعلى الرغم الملاحظات الكثيرة التي ابداها النقاد والقصاصون العراقيون على دراسة د.سهيل ادريس (مؤسس المجلة) عن القصة العراقية التي درسها

دراسة مستشرق اهتم بالمواد التي حصل عليها من دون ان يدخل في اعماق الحركة القصصية فقد ظل الكتاب والشعراء العراقيون ينشرون فيها من دون مقابل مادي رغم وجود عشرات المجلات الجديدة في بلادهم وفي سواها من المجلات التي تقدر قيمة الجهد المبذول في الكتابة الابداعية وفي النقد.

بارك الكتاب جميعا تأسيس دار الاداب للنشر وانشاء عمارة الآداب التي بنيت بعرق ودموع الكتاب العرب لكن كثيرين منهم تخلوا عن المجلة لينشروا في مجلات اخرى، فقد **انتهت رسالة الآداب في (الالتزام) منذ السبعينيات** وصارت مجلة عادية او هذا هو رايي في الاقل.

الخطيئة الكبرى التي ارتكبها د.سهيل ادريس لا تتمثل في عدم دفع مكافآت للكتاب الذين لا يعيشون الا من اقلامهم، بل في انصرافه الى دار النشر وحدها وقيامه بطبع القواميس وسواها، وقد تكون هذه (الخطيئة) مفيدة ثقافيا للشباب وماديا لآل ادريس لكنها دفعت د.سهيل الى (توريث) المجلة الى ولده الشاب سماح ادريس **الذي دخل عالم الثقافة وهو لا يدري ما يفعل** فاصبح رئيسا لتحرير هذه المجلة لان والده صاحبها فكان ما كان منه.

قبله بسنوات كثيرة توفي جرجي زيدان رحمه الله صاحب (الهلال) وورث ولداه اميل وشكري زيدان مؤسسة الهلال بأسرها. فعملا على تطويرها واضافة مطبوعات وسلاسل جديدة لها واستمرت (الهلال) مؤسسة ناجحة حتى بعد تأسيسها دون ان تمس المجلة بانسان او تسيء الى تيار.

محنة هذا الشاب رئيس التحرير (سماح) انه يريد ان يضع اسماً له في مجمل حركة الثقافة العربية فاصطدم بجبل شامخ هو **الثقافة العراقية** والمثقفين العراقيين واساء اليهم والى العرب الاخرين الذين حضروا مهرجانات (المدى) منذ ان كانت تقام في دمشق والى يومنا هذا. لن اتحدث هنا عن زيارات د.سهيل ادريس الى بغداد ايام (المربد) ولقاءاته بي ايام كنت رئيسا لتحرير مجلة (الاقلام)، ولن اتحدث عما قاله وقلته فذلك امر خاص بنا وإن كان يصب في مجمل عملية التمويل التي كان يريدها استاذنا ادريس لمجلته، ولكني اقول ان الاستاذ فخري كريم رئيس مؤسسة (المدى) لا ينكر انه يستعين باصدقائه لتمويل مشاريعه الثقافية، فدعوة ٧٠٠ مثقف واديب الى (اربيل) العراقية اولا عملية مكلفة ونجاح مهرجان (المدى) الذي أخاف سماح ودفعه لهذا الحديث المتوتر هو النتيجة.

ان سماح سهيل الشاب يظن انه فعل خيراً عندما اصطدم بصخرة ثابتة هي **الثقافة العراقية** ولكنه الخاسر والخاسر دائماً ويكفي فخري كريم ان يحتضن جهده المثالي هذا معظم الادباء العرب والعراقيين.

عن موقع المدى، ٤ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

فيصل لعيبي

الوجه الآخر للتكفيريين

لم اكن من قراء الآداب منذ صدورها وحتى هذه اللحظة ، لكني أحتفظ بعدد واحد من أعداد عام١٩٥٦، الذي يحتوي على مقابلة مع فنانين عراقيين ، حول معرض الفن العراقي المعاصر، المقام على قاعة اليونسكو ببيروت آنذاك ، أذكر منهم الفنانين : جواد سليم ، حافظ الدروبي وإسماعيل الشيخلي.

إن الذين كتبوا دفاعاً عن السيد سماح إدريس ومجلة الآداب ، ودورها الريادي ، قد تناسوا **دور مجلات ثقافية أكثر أهمية** من الآداب ، مثل : الكاتب ، الفكر المعاصر ، الأقلام ، مواقف ، شعر ، حوار ، المجلة ،الثقافة الجديدة ناهيك عن مجلة الهلال العريقة وكتابي الأنيقة وغيرها، وهي قياساً للآداب **أكثر جذرية وتأثيراً** على القارئ، كما أنهم اغفلوا دور الكّتاب أنفسهم ، لأن الآداب أو أية مجلة ثقافية أخرى، لا تستطيع العيش بدون كتّاب ، فالكتّاب أنفسهم من صنع الآداب،(*) وليس العكس ، كما يقول المدافعون عنها . المبدع عموماً لا يحتاج الى مظّلة يستظّل بها ، فهو كالشجرة مظّلة بحد ذاته ، والذين كتبوا في الآداب أو غيرها ، ثم برزوا كمبدعين ومحركين للمشهد الثقافي العربي ، كانوا أساساً يملكون كل مقومات الإبداع وما هو أصيل ومتجدد معاً .

وبما اني لست من قراء الآداب – لأسباب ليس هذا محلها – **فلم أعرف إن كان السيد سماح قد تطرق سابقاً مثلاً ، الى مهرجانات ثقافية عربية أخرى أم لا** ؟ فالبلاد العربية لها من المهرجانات بسعة الحزن العربي نفسه ، ومن منظمي

❖ ـ المقصود: مَنْ صَنَعَ الآداب، وهنا تبرز أهميةُ التشكيل، فاقتضى التنويه. (الآداب)

المهرجانات ، ما يفوق تصورنا جميعاً . فهل تناول صاحب الآداب (ووريثها الشرعي) ، بعضاً من هذه المهرجانات ، وتساءل عن فواتير صرفها ومن يقف وراءها ، ولماذا ؟؟ مثلما دقق جيداً ، بمهرجان المدى الخامس بالذات ودخل الأرشيف السري لصاحب المهرجان ودفاتره العتيقة ، بحماسة يحسد عليها .

لقد أقيمت قبل هذا المهرجان ، أربعة مهرجانات للمدى ، فهل تناولها رئيس تحرير الآداب ، مثلاً ، بهذا الحرص على الثقافة العربية المعاصرة ، وهو المتعدد المواهب والميول كما يصفه أحدهم ؟

ما هي حصة المهرجانات العربية من نقد وعيه " النقدي "(*)، الذي يغمز به المثقفين العراقيين، وهذا من مزايا (الميتافور) القومي الراهن ، وهي مهرجانات تمتد من أصيلة المغربي وجميلة الجزائري وقرطاج التونسي ، ولا علم لي بمايدور بـ"الجماهيرية الليبية العظمى" مروراً بمهرجان القاهرة ثم الجنادرية ودول الخليج وبعدها ، جرش وبعلبك، ثم مهرجان دمشق وإنتهاءً بمهرجانات قادسية صدام _ الفضيحة – والتي يعود منها رعيان الثقافة العربية محملين حقائب مليئة بالورق الأخضر الأمريكي تحديداً ؟ ما هي إسهامات الآداب ، في فضح العديد من مهرجانات العرب الدولية ؟ أم أن العراق ومثقفي العراق هم بيت القصيد؟ كيف اهتدى رئيس تحرير الآداب لمهرجان المدى ؟ ومن هو الذي ورطه بهذه الورطة ، ولماذا ؟ ألا يجدر به كمثقف ، مناقشة ما طرح في المهرجان بدلاً عما تطرق أليه في إفتتاحيته تلك ؟ نوع القصائد التي ألقيت و درجة تطور الشعرية العراقية أوالعربية في شعر المهرجان أو حتى تأخر الشعرية إن وجد ؟ ماهو مستوى العرض التشكيلي وما هي المواضيع التي تناولها الفنانون العراقيون في المعرض ؟ ماهي الدراسات الأكاديمية والأبحاث الجادة وحصتها من وقت المهرجان ؟ المسرح وما قدم فيه من تجارب ومواضيع وغير ذلك ؟ السينما ؟ الفوتغراف ؟ الأزياء العراقية الجميلة ؟ الموسيقى والغناء وطلعة الفنانة القديرة صبيحة إبراهيم (التي وافاها الأجل قبل اسابيع)، وهي في هذا العمر الذي قارب الثمانين ، وهي تشدو بأغنية : " ماخطرتش على بالك يوم تسأل عني " والتي هزت كل من سمعها و شاهدها، وكأنها بنت العشرين ، والتي جعلتنا ندرك ما فاتنا من خسران للطاقات العراقية ، التي لم تسنح لها الفرص للتعبير عن قدراتها الخلاقة ، فقد تفوقت (صبيحتنا) على كوكب الشرق وهي في هذا السن ، فماذا سوف نسمع لها لو غنت للحنين كبار كالسنباطي وزكريا والقصبجي وغيرهم ، وهي في العشرين من عمرها ؟ حسين نعمة المتألق دائماً وأغانيه الفراتية العذبة ؟ فؤاد سالم ومقاماته الغائرة في وجدان العراق وصوته الشجي؟ ياس خضر وبكائياته العراقية المتجذرة ؟ فرقة الخشابة والرقص البصري الأصيل ، الذي يحكي لنا عذابات زنج علي بن محمد ، صاحب ثورة الزنج الشهيرة ؟ معرض الكتاب ، الذي احتوى على الذخائر العربية وعصارة فكر وروح المبدعين العرب والأجانب ؟

كل هذا لم يثر رئيس تحرير مجلة ثقافية مثل الآداب ، بماذا إذن ينشغل دماغ سماح وامثاله إن لم يكن بالنتاج الثقافي ، وماذا **تعلم سماح أدريس من دراسته في امريكا** !!؟؟

– كيف يمكن التفكير بمهرجان ثقافي كبير مثل مهرجان المدى ، بدون دعم مالي ؟ وأي عقلية ساذجة تلك التي تريد من الناس مهرجانات بدون أن يساندها احد ؟ كل المهرجانات مدعومة من حكومات ومؤسسات وحتى شركات ليست لها علاقة بالثقافة اصلاً فلماذا لايثار النقاش حولها ؟ هل العراقيون بمعزل عن هذه الشروط ؟ أوليس لهم الحق بمطالبة الدولة بدعم مشروعاتهم الثقافية أو الحكومة " العميلة " حسب تعابير الفتاوى التكفيرية للسلفية اليسارية جداً ؟ وإذا كانت " الحكومة عميلة " و" الإحتلال " كابس [كذا] على أنفاس العراقيين ، فهل من الصحيح عدم إقامة مهرجان ثقافي في العراق لأن العراق محتل ؟ ، فلا يجوز شرعاً القيام بنشاط ما، باستثناء تفجير الناس في الأسواق والمدارس والمستشفيات ، وقتل العمال الذاهبين للعمل وذبح النساء والأطفال والشيوخ ، لأنهم عصوا أوامر عصابات بقايا النظام والقاعدة وعملاء دول الجوار، من الأشقاء وأخوة الدين . ماذا نقول إذن للفلسطينيين ، هل أن نشاطاتهم في" **الأرض المحتلة**" حرام ؟ حسب فرمانات وفتاوى أمثال سماح ورهطه. وإذا كان اليهود أو " **الصهاينة** " بتعبير سماح إدريس ورهطه ، يدخلون العراق بجنسيات مختلفة وبشكل سري أو مكشوف ، فيصولون ويجولون بين ظهرانينا ، فإن هناك **دولاً عربية أصيلة** ، وحكامها أول من رفع شعار العروبة والإسلام ، تحتل إسرائيل أراضي فيها ولها سفارات ولديها علاقات ثقافية وسياسية و تجارية مكشوفة – عينك عينك – ، **فما هوموقف الآداب منها** ؟ مادام الأمر محرماً على العراقيين ، حتى وهم في هذه الظروف التعيسة، القيام بنشاط ما ؟

---

* ـ لقد روى لي الصديق الشاعر عبد الكريم قاصد طرفة لأحد الكتاب المصريين الذين يراسلون الآداب , حيث عاتب صاحبها الدكتور سهيل إدريس لقلة مكافآت المجلة , ولما اعتذر الدكتور سهيل بقلة الإمكانيات النقدية , اجابه الكاتب المصري قائلاً : هويعني مافيش واقعية نقدية يادكتور ؟ (ف. ل)

ليس دفاعاً عن الحكومة العراقية الحالية ، فموقفي منها واضح منذ تشكيلها ، لكني لا أستطيع أن أغمض العين عن الملايين ، الذين خرجوا للإنتخابات والتصويت لها ،رغم تهديد " المقاومة الشريفة " ومقاتلي القرون الوسطى وبائعي صكوك الغفران وبقايا حزب صدام الكريه ، قبل سنوات .

اين كانت الآداب من المقابر الجماعية ، التي مر عليها سماح مرور الكرام ، في مقالته عن المدى ، وما هو موقفه من حلبجة والأنفال وتجفيف الأهوار وتهجير مئات الألوف من العراقيين عرايا ، ودفعهم الى الحدود الإيرانية ؟ ، مادامت أفتتاحيته، قد دخلت على الخط المباشر للسياسة ، وماذا كان موقفها من مؤتمرات (القومجية) في بغداد ، عن الديموقراطية الصدامية، عندما ترأس خير الدين حسيب ومعن بشور مؤتمر صدام الديمقراطي ، وبشّر العراقيين والعرب بقدوم عصر الإنفتاح والرفاهية ويوم الخلاص ، من خلال نفس السلطة ، التي أسرفت في دماء الشعب ومناضليه ، ودمرت البنى التحتية والفوقية معاً ، بسياستها الرعناء والغبية، من خلال حروبها الخارجية والداخلية ؟ هل نسوا البرقية التي رفعوها الى مقام السيد الرئيس حفظه الله ورعاه ، بعد إنتهاء مؤتمرهم ذاك والتي أشادوا فيها بدوره التأريخي ؟ هل غمروا نداءهم المهيب ، بمستنقع النظام المليء بالجثث والضحايا، وشربوا ماءه الآسن ، بعد إستلامهم المقسوم ؟ ماذا أخذ فرسان المؤتمر القومي العربي معهم في الحقائب، عند مغادرتهم عاصمة " القائد الضرورة " ؟

لقد ترددت أسماء ، وكتبت مقالات تشيد بكتّاب كانوا يطبلون لصدام ، ويهاجمون معارضته ويتهمونها بأبشع الإتهامات ، كما أن قسماً من هؤلاء قد وقع مع طارق عزيز في باريس وثيقة عهد ، للمضي في الدفاع عن نظام صدام وحزبه الفاشي. وإذا كان (**عبد الباري عطوان – معن بشور –خير الدين حسيب**) **وبقية الشلّة ،هم (فرسان الأمل) الحاليون، فماذا ننتظر إذن من القطيع الذي يتبعهم** ؟

من ملامح الحقد والكراهية ضد العراقيين ، ما كتبه (رشدي أبو شاور) [كذا] ، الذي حوّل الكتّاب والمثقفين العراقيين الى متسولين وطالبي عطايا على باب منظمة التحرير الفلسطينية ، وكأنهم لم يقدموا شيئاً للصحافة الفلسطينية، في تلك الأيام الغبراء ، ولم يدفعوا بها للأمام . وأبو شاور هذا ، لايعرف أن العراقيين في أيام حكومة الزعيم الوطني عبد الكريم قاسم ، كانوا قد أسسوا جيش التحرير الفلسطيني ، وتخرجت دفعات من الضباط الفلسطينيين من كلّياتهم العسكرية ، قبل أن يفكر الراحل أبو عمّار ورفاقه بتأسيس منظمة فتح بسنين ، وكان العراقيون يفضلون الفلسطينيين على انفسهم في السكن والعمل والدراسة، لكن ما فائدة هذا الكلام مع أمثال هؤلاء ؟ فهم اليوم ، يتباكون على ما مضى ، وضياع فرص حضور مهرجانات السيد الرئيس حفظه الله ورعاه ، كما ردد فاضل الربيعي مرة في مقابلة تلفزيونية بثها تلفزيون النظام ، عندما أستدعي من قبل نظام صدام وقتها ، لتشكيل حزب سياسي مع بعض من رفاقه، لدعم المسيرة التاريخية ، والدور الريادي لحزب البعث بقيادة "المهيب الركن السيد الرئيس صدام حسين حفظه الله ورعاه " ، والذي يقدمه لنا أبو شاور بثلاثة ألقاب تزاحم بعضها البعض هي: " الكاتب والباحث والمناضل " – حته وحده – كما يقول أخوتنا في مصر، ورشدي هذا [كذا]، الذي يهاجم صاحب المدى ، قد سبق له وعمل معه فيها ، فلماذا لم يتحدث وقتها عمّا يلوكه الآن عن صاحب المدى ؟

والآن لنتحول الى إسطوانة (الإحتلال) فهي حجة لاتدحض. فهل نسي الناس حقاً ، من جاء بالإحتلال ؟ هل نسي [نسوا] إتفاقية (خيمة صفوان) عام١٩٩١، التي سمح بها النظام للحلفاء بقيادة الولايات المتحدة باختراق أجواء العراق ، بعد خروجه مهزوماً من جريمته في الكويت ؟ هل نسوا الملاذ الآمن في الشمال والجنوب العراقي ؟ هل نسوا سماح نظام صدام للقوات التركية بالتوغل لمسافة ثلاثين كيلو متراً منذ الثمانينيات، ووصل بعضها الى خمسين كيلو متراً في أحيان كثيرة ؟ من فرط بالأرض والجو والبحر ؟ من تنازل عن مياه شط العرب لشاه إيران في إتفاقية الجزائر عام ١٩٧٤ ؟ الم يكن صدام نفسه وراء كل هذه المصائب !!!؟ هل يلام الألمان والإيطاليون واليابانيون والفرنسيون ، لأن حكامهم المجانين والمجرمين بامتياز، قد عرضوهم لما جرى بعد الحرب العالمية الثانية ، وذلك بدخول القوات الأجنبية لأراضيهم وبناء القواعد العسكرية فيها ؟ هل كانت الأحزاب السياسية في اوربا المحتلة من قبل الحلفاء ، أحزاباًعميلةعندما بادرت لتشكيل حكوماتها تحت وقع وبصر جنود الأحتلال ، والذين لا يزال قسم منهم متمركزاً فيها حتى هذه الساعة ؟ هل كان صدام حسين أقل بشاعة من هتلر وموسوليني وغيرهما ، إن لم يكن أكثر قبحاً وحقارةً ؟ لماذا يجب علينا نحن العراقيين، ان ننصاع للذين دمروا بلادهم وبلادنا بشعاراتهم الجوفاء ؟

لن ادافع عن صاحب دار المدى ومهرجاناتها ، فهو أكثر قدرة مني على هذا ، ولديه الإمكانيات الكافية لذلك ، لكني أشير هنا الى مسألة سرقات أموال الحزب ، التي أشار أليها سماح ورشاد [صحّ!] أبو شاور ، ومن يسير خلف نياتهم تلك . فقبل إنعقاد المؤتمر الخامس للحزب الشيوعي العراقي ، بفترة قصيرة ، عقد لقاء لمندوبي الخارج الى المؤتمر، وكنت واحداً من هؤلاء ، وجرت مناقشة المواضيع التي ستعرض على مؤتمر الحزب الخامس ، الذي أطلق عليه اسم : " مؤتمر التجديد والديموقراطية "، ومما دار في هذا اللقاء موضوعة مالية الحزب وقد وجهت أنا شخصياً وبعض المندوبين سؤالاً

الى الرفيق حميد مجيد موسى والرفيق فخري كريم ، بإعتبارهما يمثلان قيادة الحزب في هذا اللقاء ، حول ما يشاع من سوء تصرف الرفيق فخري بمالية الحزب وهل في ذمته ما يشكل خرقاً لقواعد عمل الحزب ؟ كان الجواب واضحاً ، من قبل الرفيق حميد مجيد موسى ، وهو : " لاتوجد في ذمة الرفيق فخري ، أية اموال تعود للحزب ، وليس هناك إشكال بهذا الخصوص [".] أقول هذا ، بعد مرور أكثر من عقد من الزمان ، على المؤتمر الخامس ، وأتمنى على الحزب أن يبت بهذا الموضوع ، فقد كثر الحديث عنه ولاكته الألسن ، لأن ذلك من مصلحة الحزب والرفيق معاً .

لقد تحول النقاش من الهجوم على فخري كريم الى الهجوم على الحزب الشيوعي ، وتهافت كتاب وسياسيون ، لهم مواقفهم الخاصة تجاه الحزب ، كل يدلو بدلوه ، فكانت هذه فرصتهم الذهبية ، كما يبدو ، لكن المثير هنا ، ان الحزب تحول لديهم من عميل لموسكو الى عميل لواشنطن ، وهذا يحتاج الى (كبسلة) ، كي نستوعب هذا الإنقلاب . فهل القضية تصفية حساب مع " حزب فهد " كما يسميه سماح إدريس ، في مقالته عن المدى ؟

وأخيراً ، هل كان على صاحب المدى ، دعوة كل المثقفين العرب والعراقيين ، حتى تهدأ ثائرتهم ؟ لقد عاتبته لعدم وجود بعض الشخصيات الثقافية في مهرجان المدى الخامس ، وأعتبرت ذلك نقصًا فادحاً للمهرجان ، لكنه قال لي ، بأنه لايملك مال قارون ، لمثل هذا الأمر ، والقضية قضية ميزانية محدودة ، ومن لم يأت اليوم سندعوه غداً.

ختاماً ، أدعو أخوتي من العراقيين ، في المنافي والداخل ، من الذين لهم مواقف خاصة ضد الحزب الشيوعي ، أو ضد بعض أو كل الشخصيات السياسية العراقية الحالية أو من الوضع العراقي برمته ، أن يعبروا عن رأيهم بصراحة وصدق – هذا من حقهم ومن واجبهم الإدلاء به– شرط أن يرتفعوا في جدلهم الى ما هو اهم واجدى لبلادنا المنكوبة ، بلاد السواد والأحزان والحضارات ، لأن لهم في العراق والمنافي أخوةً من الأصدقاء والمحبين من المبدعين العراقيين ، الذي حرموا من كل مهرجان عراقي أو عربي منذ أكثر من ثلاثين عاماً، ومن واجبنا دعم مشاريعهم وأنشطتهم في الداخل والخارج ، بالشكل الذي تسمح لهم فيه ظروفهم وظروف العراق الحالية، فهم ذخيرتنا النيّرة وبقية الجذوة المتّقدة وضمير شعبنا المراد له الذل والنكبات ، وأن لايلتفتوا للذين كانوا يلهثون وراء ثريد صدام وفنادقه الفخمة وعطاياه السخية ، فهؤلاء لديهم أسبابهم للّطم والبكاء ، ونحن لنا ما يشغلنا عن هذه الترهات الحماسية الفارغة . فمتى كفّ هؤلاء عن الدّس على العراق ومتى كنّا لهم صاغرين ؟

عن موقع المدى،٥ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

أبعد من حرية الفكر (المقاطع النهائية)

عباس بيضون

(...) التفت الآن إلى «ميثاق شرف بين أنصار الكلمة الحرة» وآذن لنفسي أن أنقله كاملاً للأمانة وهو على كل حال ليس طويلاً (انطلاقاً من إيماننا المطلق بحرية الفكر. نشجب شجبًا مطلقًا لجوء أي مواطن عربي إلى المحاكم لمقاضاة صاحب رأي، أو ناشر معلومة أو محلّل لوضع ما أو سيرة أو عهد ما... بغضّ النظر عن مضمون الدعوى أو الجهة المدّعية أو الجهة المدّعى عليها فالفكر لا يجابه إلاّ بالفكر والحقائق لا تدحضها إلاّ الحقائق والمؤلّفات والمنشورات والوسائل الإعلامية ليست قاعات محاكم، بل منابر فكرية يجب أن تقوم على احترام الرأي والرأي المضاد». لنتذكّر أولاً ما سقناه في مطلع هذه المقالة من أنّنا في حرب أهلية بالكلام، وأنّ غايتها فرز المتناقشين من بعضهم البعض والحؤول دون اشتراكهم في شيء، ولا يهمّ الرأي أن يكون رأيًا في الأساس إذ ينوب عنه التشهير والتشنيع، وغاية ما يمكن معه إقصاء رأي هو القول إنّه (صاحبه) مباع مدسوس. فما يصل إليه سجال حربي هو قتل الرأي الآخر بأي طريقة ليست النقاش بالتأكيد. نتذكّر اللحظة التي يخرج فيها ميثاق الشرف إلى النور وننتظر أن يكون دعوة إلى إخراج النقاش من المطب الحربي الأهلي. لاحترام الرأي بمقارعته بالحجة والرأي، لا قتله والنيابة عنه بالتقويل والشائعة والتشهير الشخصي. ننتظر أن يكون الميثاق دعوة لاستقلال الفكر والثقافات عن المنازعات الأهلية. لكن الميثاق يعمر بإيمان «مطلق،» ويشجب شجبًا «مطلقًا،» ماذا، لجوء أي مواطن عربي لمقاضاة صاحب رأي. تعميم «المواطن العربي [»] لا يخفي شيئًا، **فليست المحاكم التي حكمت بسجن عارف دليلة وميشال كيلو هي المقصودة، وليست المحاكم العربية الأخرى التي هي عصا أخرى في يد السلطة الديكتاتورية أو نصف الديكتاتورية هي المقصودة. المقصود هي المحاكم التي تقاضي فعلاً**، والتي تنظر في دعاوى ولا تقيم هي دعاوى، والتي تحكّم القانون في النزاعات وتفصل فيها بمقتضاه. المقصود هو المحاكم في مثالها الشرعي والقانوني. لا نفهم معنى كل هذا الإيمان والشجب ضد لجوء الناس إلى العدل الذي يحكم لهم أو عليهم بموجب شريعة جامعة. كنّا فهمنا لو أنّ الميثاق كان ضدّ استخدام المحاكم من قبل الاستبداد، أو ضد الرقابة مثلاً وهي قد تغدو تعسفية، لكنّ المحاكم، كما يفترض،

تحكم بالعدل والقانون. يمكننا أن نستشعر هنا أنّ ميثاق الشرف وموقعيه يعارضان [كذا] حرية الفكر بالقانون والعدل، ويعتبران أنّ من حقّها تجاوزهما. تلك هي واحدة من مقدّمات العيش خارج القانون، فما نطلبه للرأي قد نطلبه لسواه فإذا كان مثال حرية الفكر وقوّته السباحة خارج القانون فلماذا لا يكون هذا مثال أمور أخرى في المجتمع [؟] ولماذا لا تكون السباحة خارج القانون هي مطلب كل حرية وكل نضال وتقتضي (الشجب المطلق) للمحاكم والقوانين واللجوء إليها [؟]. أما حرية الفكر في الميثاق فهي حسب توصيفها لا تقف عند الرأي والمعلومات بل تخوض «أيضًا» في السير، وبحسب الميثاق فهي مهما كان مضمونها (لو كانت افتراءً أو كذبًا أو تقويلاً) ومهما كان المدعى عليه والمدعي فإنّ اللجوء إلى المحاكم ممنوع. نطمئن الميثاقيين أنّ المحاكم اللبنانية المقصودة وحدها لا تستطيع في هذه الأيام أن تحصر أو تحاصر النقاش الأهلي المفلت من عقاله ولا أن تقف عند كل افتراء وتقويل وتشهير. نطمئنهم لكن ما الحاجة إلى انبراء هذا العدد الكبير من المثقفين لدعم انفلات النقاش الأهلي من عقاله، وفوران التحريض والاتهام والتشييع (من الشائعة) [؟]. ما الحاجة إلى دعم هذا العدد للنقاش الحربي وقتل الرأي. الفكر (لا يجابه إلاّ بالفكر والحقائق لا تدحضها إلا الحقائق)، هذا إذا كان الفكر فكرًا والحقائق حقائق، ماذا لو كان الفكر تخرصًا والحقائق كذبًا. كيف يمكن دحضها بالفكر وحده، أعلى المتّهم (بفتح التاء) أن يقيم البينة أم على المتهم (بكسر الهاء) [؟]. ليس على الثاني بحسب الميثاق إلاّ أن يطلق تهمته على غربها (جاسوس أو مباع أو خائن، لص) وعلى الأول المسكين أن يثبت، وما هو السبيل إلى ذلك، أنّه ليس جاسوسًا ولا مباعًا ولا لصّاً [؟]. أي بينة يستطيع أن يقيمها ليدحض التهمة (هل على المتهم بالجاسوسية أن يحصل على إفادة من المخابرات المركزية لعدم انتمائه إليها، وهل على اللص أن يبرز وصل أمانة من جهة غير مسماة [؟]، هكذا تنقلب الأمور عند الموقعين ويفوتهم أن المسألة أبسط، على المتهم (بكسر الهاء) أن يقيم البينة ولا سبيل لذلك إلاّ بعرضها على المحاكم.

إنّنا أمام منطق يتعدى الميثاق. إنّه منطق يسعى إلى إخراج العملية الاجتماعية كلها من نطاق الدولة والقانون، ولا يملك تجاه هذين إلاّ الضيق والشعور بعطالة الاثنين، وعليه فإن قانون الميثاق هو القانون الطبيعي، ترك النزاع على غاربه واستبداله بالقانون. ويفوت الموقعين أنّ المسألة ليست مسألة دعوى صغيرة ولا مقال في مجلة، فما يسمّونه رأيًا هو مادة الحياة السياسية والنزاع الأهلي، وإذا أبيح فيه الافتراء والتشهير والإشاعة على ألسنة المثقفين فهذا يعني أنّ الحرب نفسها أبيحت وباتت قانونًا ونظامًا ولو بوسائل أخرى.

لا يعنيني كثيرًا أن يكون الميثاق على خلفية دعوى فخري كريم على مجلة الآداب. أسلم مع الموقعين بأهمية مجلة الآداب ولا تعني لهم أكثر مما تعني لي. إنّها دعوى وللقضاء أن يحكم فيها بالقانون، لكنّ الموقّعين عجّلوا إلى (دحض الفكر بالفكر) فأيّدوا مقالة سماح إدريس ضدّ فخري كريم وأصدروا حكمهم قبل القضاء، وإذا أمكن الوصول إلى هذه الخاتمة السعيدة بدون أي (مجابهة) وبدون مقابلة (الحقائق) بـ(الحقائق) فما الحاجة إلى الميثاق أصلاً، ما دام لدى الموقعين هذه المقدرة فما الداعي لكل هذا الشجب والخوف على حرية الفكر [؟].

موقع جريدة السفير، ٢٠٠٨/١/٥

❖ ❖ ❖

سلوى زكّـــــو

دفاعا عن المثقف العراقي ومجلة الآداب معا

ما سيلي ليس دفاعا عن فخري كريم في خلافه مع مجلة (الاداب) اللبنانية، فالرجل، وبحكم خبرته العريضة، اقدر مني على التعامل مع امثال هذه المواقف، انما هو دفاع عن النفس بصفتي احد المشاركين في مهرجانات المدى، كما انه دفاع عن مجلة الاداب نفسها.

اريد ان افترض حسن النية فأقول ان د.سماح ادريس على مايبدو لا معرفة لديه بطابع مهرجان المدى الثقافي اذ تصور، او صور له، انه دعوات مجانية واقامة في فنادق باذخة و(التفرج) على بضع فعاليات ثقافية والباقي يمضيه المدعوون في جلسات سمر وثرثرة ومشاحنات لاتنتهي الا بطلوع الفجر. والامر ليس كذلك قطعا، ولو كان كذلك لما كلف احد نفسه عناء الكتابة عنه، معه او ضده، ولانضم مهرجان المدى الى العشرات من الفعاليات الثقافية الفوقية التي تصرف عليها ملايين الدولارات وتنتهي ما ان تبدأ.

حضر مهرجان المدى الاخير اكثر من ٨٠٠ مثقف عراقي وعربي كان كل واحد منهم مشاركا وليس ضيفا متفرجا. ولن لم يعرف بعد اقول كانت هناك العشرات من العروض المسرحية والسينمائية والموسيقية والغنائية ومعرض للفنون التشكيلية ومعرض ضخم للكتاب والعشرات من الحلقات النقاشية التي غطت مختلف جوانب المعرفة الفكرية والثقافية والعلمية اضافة الى كم كبير من البحوث واوراق العمل وكلها كانت مدار نقاش امتد الى ساعات مابعد فعاليات المهرجان. اذن، لم

يصنع مهرجان المدى فخري كريم وحده، بل صنعه معه كل اولئك الذين قدموا نتاجهم الابداعي او شاركوا بالنقاش والمقترحات وفتحوا آذانهم وعقولهم لتمثل تيارات الثقافة الغنية والمتنوعة تنوع المعرفة الانسانية.

كان لفخري كريم شرف ادارة هذا الجهد الثقافي الهائل، ومعه نخبة من العاملين في مؤسسة المدى، كما كان له فضل جمع هذه الاعداد من المثقفين من شتى بقاع هذا الكون الواسع بعد ان شتتتها السياسات الخائبة بكل المقاييس، ولقد اتضح انها كانت خائبة حتى بمقاييسها هي. وان كان للرجل شرف تأسيس المدى المؤسسة، الا انها غدت اليوم مشروعا ثقافيا هو ملك لكل من اسهم فيه من مفكرين وباحثين وكتاب وصحفيين وعددهم بالمئات اضافة الى مؤسسها.

اريد ان افترض مجددا حسن النية فأقول ان د.سماح ادريس لا يعرف بالدقة الجهد الثقافي الهائل لمن شاركوا في المهرجان، وليس في المجال متسع لايراد الاسماء لانها بالمئات، لكنني اقول عن ثقة ومعرفة ان هؤلاء هم من خيرة من يمثل الثقافة العراقية بتنوعاتها واجيالها المتعددة. ونحن العراقيون -لو درى-نضع الثقافة فوق العطايا والجوائز والسكن في فنادق الدرجة الاولى، اعتدنا ان نشتري الكتاب حتى وان اقتطعنا ثمنه من لقمة العيش، او ان نقرأه مستنسخا وسيف الجلاد مشهر فوق اعناقنا. اذن، لا يزايد علينا احد في موضوعة الانتماء وشرف الكلمة، فنحن ادرى بالشعاب التي قادت وتقود الى طعن ظهورنا، وهي شعاب تظل نهاياتها مسدودة.

مازالت ردود الافعال تتوالى، مؤيدة او معارضة لمسألة اللجوء الى القضاء. تقرأ في بعضها شتائم لا تستحق الرد عليها، فيما يحاول بعضها الاخر، ربما كان الاكثر ذكاء، ان يتساءل لماذا **لجأ فخري كريم الى القضاء**؟ اما كان الاجدر به ان يدخل في سجال (فكري) مع الاداب يقارع الحجة بالحجة؟ احسب ان هذا مربط الفرس، محاولة **جر الرجل الى معارك كلامية** تبدأ به وتنتهي الى كل ما يمت الى العراق بصلة، وهو اذكى من [أن] يسهل جره الى مثل هذا النفق، فلجأ الى الاسلوب المعتمد في كل مكان وهو الاحتكام الى القضاء. واحيل هنا د.سماح ادريس الى المعايير الدولية لحرية التعبيروالى العشرات من مواثيق الشرف الصحفي بمختلف صنوفها والتي تجمع على منع القذف والتشهير والاساءة الى السمعة الشخصية. كما احيله الى الالوف من امثال هذه الخروقات في شتى انحاء العالم التي كان الحكم فيها للقضاء. هي ممارسة اعتيادية تكفلها القوانين واحسب ان الجميع يعرفها. اين الغرابة اذن؟

نأتي الى مجلة (الاداب) تلك التي تعرفنا من خلالها-نحن العراقيين -الى مبدعينا يوم كانت منافذ النشر لدينا تضيق باسماء مثل بدر شاكر السياب ونازك الملائكة وغائب طعمة فرمان وبلند الحيدري وكل ذلك الرعيل من المبدعين الذين اضافوا الكثير الى تيار الثقافة العربية الدافق في الخمسينيات والستينيات من القرن الماضي. وظلت صفحات (الاداب) مفتوحة بحب للمبدعين العراقيين من الاجيال التالية. ما الذي تغير اذن؟ هل يعقل ان (الاداب)، التي عرفت منذ نشأتها الاولى، بتوازنها الفكري، يمكن ان تنحدر الى مهاوي الاتهام والطعن الشخصي استنادا الى ان فلانا كتب وعلانا قال؟ هل يعقل ان تتهم (الاداب) اكثر من ٨٠٠ مثقف عراقي وعربي باللهاث وراء " تذاكر الدرجة الاولى وفنادق النجوم الخمسة "؟ الم يتوقف د.سماح ادريس لحظة ليسأل نفسه عن من المستفيد من فتح النار على مؤسسة ثقافية عربية بحجم وتأثير المدى؟ كيف سمح لنفسه، وهو المسؤول عن سمعة المجلة، ان ينضم الى الحملة الدائرة **التي تصنف العراقيين الى عرب وكرد يتناحرون** فيما بينهم؟ هنا لن افترض حسن النية، اذ ان من اولى واجباته، وهو يقود المجلة، ان يحسن الفرز بين التيارات المتصارعة في العراق ومنها تيار شق العراقيين الى عرب وكرد، وهو تيار معروفة مصادره وغاياته وادواته، وهنا اربأ بالاداب ان تكون واحدة من هذه الادوات.

هذا نداء اوجهه الى استاذنا ومعلمنا د. **سهيل ادريس ان يعمل على ضبط بوصلة** (الاداب) التي قد تكون واحدة من آخر متاريس الثقافة والتنوير في العالم العربي. انها-كما مؤسسة المدى-لم تعد ملكا لآل ادريس، رغم اقترانها باسمهم. انها ملكنا نحن جميعا كما هي ملك للاجيال اللاحقة ولمئات من المبدعين العرب الذين حملت هذه المجلة اسماءهم.

مهما كان قرار المحكمة، فاننا لانريد ان نخسر (الاداب) كما عرفناها.

عن موقع المدى، ٦ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

هذه الضجة : صدى لأبواق المعطلين وجماعات التخوين !

سهيل سامي نادر

أزعجني ما كتبه السيد سماح سهيل ادريس في مجلة الآداب بنقده لدعاة الوعي النقدي الحديث والتطورات التي توالت بعد ذلك بقيام السيد فخري كريم بتسجيل دعوى في القضاء اللبناني ضده ، ثم حملة التواقيع التي تديرها مجلة الآداب هذه الأيام التي تسميها ميثاق شرف.

في الحقيقة أرى أن صاحب [«] نقد الوعي النقدي [»] كتب ما كتب ليفتح معركة على طريقة الصحافة الفضائحية ، مسقطا شظايا المعركة السياسية الاصلية القائمة في لبنان والمنطقة بكل امتداداتها في العراق المحتل على فخري كريم . إنه ببساطة كتب تحت ضغط السياسة نص سباب وتخوين، ثم راح يحمي نفسه بحملة ميثاق شرف.

أزاء ذلك أرى إن السيد فخري كريم بذهابه للمحاكم أعطى مبررا لمقالة تعد جزءا من الادب الجاهلي السائد في المنطقة ، لكي تصبح نواة معركة اعلامية تحتاجها جوقة كاملة المعدات من الديماغوجيين الذين ما زالوا يعيدون انتاج خطاب قديم باسماء مختلفة. إن السيد فخري ملام مرتين في الحقيقة ، فهو يظن أن الذهاب الى المحاكم أكثر جدوى وموضوعية ما دام الامر لا يتعدى الشتائم وهو لا يريد أن يرد على شتيمة بالكلام ، في حين إن **فخري الذي أعرفه سكت طويلا على شتائم رفاقه من الشيوعيين ومنهم من اصبح في خدمة الدكتاتور واجهزته**، او في ركن آخر لا يحسدون عليه، والذين يعرفهم واحدا واحدا ، ونص **سماح ينسخ شتائمهم ليس الا.**

فضلا عن ذلك أرى أن فخري ربما لم ينتبه الى أن **خصمه يستخدم وضعية خاصة ويتقوى بها . وضعية عراق محتل راح كل من هب ودب يستخدمها كحجة لتعطيل الحياة العراقية واغلاقها تماما** . إن **كل ما في العراق** من مناشط ومؤسسات اقتصادية وتجارية وخدمية وثقافة واعلام **هي عميلة للاحتلال** الامريكي ويجب أن تختفي : هذا هو شعار أصحاب المفخخات والجوقة الاديولوجية ضيقة الافق المجاورة لهم !

هذه الوضعية التي يتقوى بها الدكتور سماح تسهم فيها تطورات أخرى تجعل منها وضعية معقدة يبحث فيها الجميع عن حماية ومظلة : صعود سريع لقوى ما قبل الدولة والمليشيات ، ترييف المدينة العربية واختفاء الطبقة الوسطى القديمة ، سيطرة التيارات الدينية والطائفية . في وضعية كهذه يتحول العمل السياسي الى حجج وأداة لي الارادة بالتخوين والتهديد الصريح والمبطن . وضعية يكثر فيها (مجانين الرأي وشهود الحقيقة) بحيث يستطيع أي مجنون ومغرض أن يرى فخري كريم راكبا دبابة امريكية مقدما شهادته الى صاحب الآداب وغيره قاسما بأغلظ الايمان بأنه رآه.

يوهمنا سماح بانه معني بنقد تناقضات الوعي النقدي العربي ، الا انه يستدرجنا الى المنطقة التي اختارها وسماها بالنموذج. انه باختصار معني بكردستان (نموذجا). اتساءل : نموذج على ماذا؟ على الوعي النقدي؟ على تناقضاته؟ على تزييفاته؟ أرى إن ثمة مزحة سخيفة هنا لا أستطيع أن أعقلها، الا إنني أفهم سماح تماما عندما يذهب بنا الى حياة المواقف السياسية لا حياة الفكر والثقافة . هذا هو هدفه بالتمام . وما دام قد اختار كردستان نموذجا، فقد اختار أمرا قديما وعلينا تذكيره بأنه قديم جدا ، قديم قدم المسألة الكردية ومواقف العرب منها . ففي هذا النموذج المختار تضافر سوء الفهم العربي مع السياسات القمعية للنظام السابق دفع الاكراد الى أن يكونوا ما هم عليه الآن في هذه المرحلة التي يعزلها صاحب الآداب عن تاريخها. (أنا لا أبرر شوفينية بعض الاكراد باسم الماضي القمعي كما لا ابرر الكثير من اخطائهم). إن الدكتور سماح معبأ بالسياسة على نحو أفرغ نفسه من التاريخ ، وقبل ذلك أفرغ نفسه من الفكر.

حتى في هذه الشروط السياسية لا نراه يقبض على أية قضية محددة ، فهو ينزلق من أمثلة صغيرة على تناقضات الوعي النقدي الى كردستان ومؤسسة المدى واسبوعها الثقافي وفخري كريم مع شظايا من الادبيات الشيوعية الانشقاقية التافهة، واتهامات بالعمالة والخيانة والسرقة، مع كمية أخرى مما ينشر في مواقع الانترنيت الفضائحية. ما الذي يحدث؟ ما الذي يحدث الآن لكي يستعيد سماح كل هذه الأمور القديمة؟ أضع هذين السؤالين في صورة أكثر تحديدا : **ما الذي يدفع صاحب مطبوع أدبي** عريق ، **ومثقفا جديرا بالاحترام**، يعيش في بلد يشهد انقساما سياسيا حادا، وتمارس قواه السياسية لعبة حافة الهاوية [إلى أن]، ينتقد الوعي النقدي العربي الحديث في (كردستان نموذجا) ، ويثير الزوابع على صاحب مهرجان المدى ، والارض التي ضيفته ؟

هذه الرمية لها معني كما أرى ، وهي إما أن تكون جزءا من عملية ترحيل ، وإما أن تكون إسهاما اختباريا يتوقع منه بعض الخدمات- والاحتمالان يتساندان.

إن جميع المعلومات التي ساقها الدكتور سماح هي خردة محل بقالة ، أما قوته الافتراضية فقد جاءت من الدمدمة السياسية المتوفرة في البيئة السياسية اللبنانية التي استدخل بعض احتداماتها باطلاق النار على فخري وكردستان والرئيس العراقي وجميع من حضر مهرجان المدى. إنه **يؤكد مواقفه السياسية داخل خريطة توزيع القوى السياسية في بلده** التي باتت تجند الجميع لكي يقفوا على خطوط الاستقطابات السياسية. لقد بات التخوين في لبنان لعبة سهلة ، كما بات احراج الآخرين بنقد مواقفهم لعبة متممة. إن صاحب الآداب يعطينا دليلا على قبوله بترييف مجلته!

أرى إن علينا قراءة النصوص ليس من جهة أنها تناقض مواقف سابقة فقط (يظن سماح انه فعل هذا) فالجميع يغيرون مواقفهم، المضحكون منهم والجادون، بل بما تعبر عنه من مصالح وظهور مراجع أو خبرات جديدة ، وبما يجري حقا هنا والآن في ساحاتنا الخلفية أو أمام بيوتنا . (**الا أقول بديهيات هنا**؟!)

حتى لا نشق الصدور بالتكهنات والاحالات الى المناطق الوعرة للوعي السياسي المتزامن مع المشكلة اللبنانية -العربية، أرى أن الدكتور سماح نسي أن مهرجان المدى ولد في سوريا وليس في كردستان، وأقيم فيها لثلاث دورات ، ولم يحسب آنذاك على أية قضية غير قضية الثقافة ومناسباتها الاجتماعية ، كما لم يحسب كرديا بل عربيا، وكان فخري شبه المواطن السوري هو نفسه فخري المواطن العراقي والكردي والقيادي الشيوعي السابق وصاحب دار النشر ولا أدري أي وظائف وأدوار ومواهب أخرى : الأمر قديم في هذه القضية أيضا!

أعترف هنا إنني لم أحب مهرجان المدى ، (لا أحب المهرجانات كلها !)، وعندما كنت أعمل في صحيفة المدى **حاولت أن اقنع السيد فخري كريم بعدم اقامته بسبب الوضع الامني أولا**، وبسبب كراهيتي القديمة للكرم العراقي الذي يتألق بالمهرجانات ويغطي على مشاكل الحياة الواقعية مثلما يغطي على سوء التنظيم والحيل السخيفة للضيوف والمضيفين ثانيا ، والتركيز على تطوير الجريدة ثالثا . وقد نجحت مع اصدقائي هناك بتأجيل الأسبوع عاما واحدا على الرغم من الاستعدادات والتحضيرات. والحال إن السيد فخري كريم الذي لا يتلاءم ايقاعه مع ايقاعي بسبب سرعته وثقته المتطرفة بنفسه كان يقترح مشاريع تستدعي ارادات تنظيمية هائلة غير متوفرة في العراق ، وقد أصرّ في هذه القضية متحججا بأن المثقفين العراقيين بحاجة الى التوحد واللقاء وتحدي الخوف والارهاب واعادة الثقة بأنفسهم ، من هنا واصل مشروعه، واختار اربيل بسبب الهدوء الأمني وتوفر البنى التحتية. لعله محق.

لكن هل كان يسعى الى احتواء المثقفين العراقيين والعرب والتأثير على مواقفهم؟ مبدئيا أقول ربما ، فما من أعطيات من دون ثمن . وإذا فكرنا من جهة مخططات سلطة ما فلا يمكن تصور أية سلطة من دون تركيبات وهالات ثقافية ووكلاء في الثقافة. بيد إن العراقيين يتمنون اليوم وجود سلطة ، ويريدون بناء سلطة بالمعنى المرادف لكلمة بناء دولة ، وهم يريدون دولة مدنية لا طائفية . أما في ما يتعلق بأهداف فخري كريم فقد عرفت الرجل وأستطيع أن اؤكد انه لا يديم توقعات كاملة ، كما انه يغير دوافعه بسرعة ، خاسرا أحيانا أفضل الصداقات ، مضيعا مكاسبه الخاصة، مرة بسبب الضجر والمزاج ، ومرة بسبب خلاف عارض ، ومرة بسبب عدم تثبته مما يحدث في العراق الصعب ، فالحياة العراقية هي من الحدية والتمرد والتنكر بحيث تستطيع الاطاحة بثلاثة من فخري وعشرة من نقاد الوعي النقدي من أمثال سماح .

لقد عملت مع فخري كريم منذ العدد الاول من صحيفة المدى ولم يمر يوم منذ ذلك الحين من دون توتر وصراع معه. وعندما غادرت العراق سلمته خطابا عن خلافاتنا ، وهي خلافات عمل وخيارات في المناهج والسلوك ، لكننا ما زلنا نسخر ممن اتفقنا على السخرية منهم ، وهم الامريكان والقادة السياسيون الاغبياء المضحكون وحثالات الطائفيين والمليشيات. وما زلنا على اتفاق أخوي على برنامج بسيط لا يقبل المماحكة : الاستقلال الوطني الناجز ، دولة قانون مدنية ، ديمقراطية .

بودي هنا أن أبدي بعض الملاحظات بشأن ما يلصق بفخري من نعوت كنت لا أخشى مناقشتها معه ونحن نضحك ، وقد زودني هو ببعض مصادرها مع كمية مما ينشر في مواقع الانترنيت عنه . إنها النعوت نفسها التي ينبش فيها الدكتور سماح والكثيرين [كذا] الذين تدوخهم شخصية فخري كريم . أرى هنا إن شخصية فخري هي نتاج مماحكة قديمة على طريقة الشيوعيين العراقيين في أوقات انشقاقاتهم وأيام غروبهم، وهو سيظهر دائما كبطل رواية شرير عبث بالحزب وسرقه وهزم كوادره المخلصة. يبدو فخري للبعض دملة تكبر بحاجة الى عملية جراحية أو وخزة دبوس ، في حين انه جزء من المشهد الداخلي للاحزاب التي عملت تحت الارض طويلا الى حد التفكك مع بعض المناقب الخاصة. على فخري أن يدفع ثمن ظهوره المجلجل على اية حال ، عليه أن يجيب على بعض الاسئلة. وتلك قضية تخصه وحده .

بعيدا عن فخري وبصرف النظر عما يمثله وعن الأوصاف المسقطة عليه من قبل البعض ، يجب الاعتراف بأن العراق الحالي هو مكان يجري الخلاف بشأنه من دونما حاجة الى اختيار اهداف صغيرة كأمثلة او نماذج . بدلا من مخادعات الوضعية الزمنية المباشرة بامكان السيد سماح أن يمعن النظر في العراق كمثال تاريخي وسوسيولوجي وثقافي يلخص المأزق العراقي والعربي معا. إن العراق الذي يئن تحت الاحتلال الامريكي يئن كذلك من تاريخه السياسي والاجتماعي . **إن واحدة من اشكالات (المقاومة) ضد الاحتلال هي وجود ماض سياسي واجتماعي يعيق بناء مقاومة وطنية** مثلما يعيق بناء حتى أصغر وحدة لمعالجة المياه في بعض المدن والقرى . فالمقاومة (وأنا هنا أشير الى القاعدة ومن يمشي في ركابها) استدخلت هذا الماضي في وجدانها وحولته الى أداة تحطيم (لأنها إما جزء منه وإما جزء من نسخته الجديدة على طريقة التكفيريين والطائفيين والمليشيات) فراحت بقدر ما تشق الصف الوطني وتستفز كتلا تاريخية كاملة بأشرس انواع الارهاب تحطم بيدها معدات وحدات معالجة المياه. (أنا لا أتسلى بمثال بل إن ما أقوله دقيق جدا). أرى كذلك إن التاريخ السياسي العراقي مع حلقاته العربية يقدم أمثلة نموذجية على تصنيع النفاق العادي للمثقفين والسياسيين ، أمثلة

على انتاج الوجدان الكاذب للمفكرين الذين يهربون من تحليل المشاكل البنيوية في السياسة والثقافة السابقة والحالية. ثمة هنا قصص مضحكة مبكية للمعارك الخاطئة، والتفاهة السياسية ، والخيانات القذرة، والاسراف في الدم والولائم ، والكرم الحاتمي الذي يصنع سماسرة وعملاء ودجالين وخجولين ومرضى نفسيين ومهرجين ومتوقعي مكافآت.

في هجومه على مهرجان المدى وعلى من حضره (ولاسيما على الأخيرين) مارس الدكتور سماح ما أحب ان اسميه باصدار فتوى تخوين لا علاقة لها باحداثيات الثقافة بل باحداثيات اطلاق النار على طريقة الملثمين الذين قتلوا عن طريق الفتاوي آلاف العراقيين بدم بارد. لا اظن إن السيد سماح له علاقة بالملثمين لكنه أغلق عينيه على ما يجري في الازقة الخلفية للعراق وتاريخه فلم ير غير الدبابات الامريكية والطالباني وفخري ومهرجان المدى. إنه **لا يرى اللعبة جيدا ، لا يرى التعاضد الموضوعي بين مفخخي السيارات ووجود قوات الاحتلال** في مفاصل الماضي والحاضر، مع إن المشكلتين مختلفتان وتحتاجان الى تحليل دقيق لهذا وذاك ، تحليل يلتزم بالشرف والحرص على الحياة قبل كل شيء.

يفسر العنف الحالي في العراق من التقاء ميراث قديم لأنظمة الاستبداد التي حكمت العراق والاحتلال الامريكي الذي حطم مرجعا وطنيا رئيسيا متمثلا بالدولة. الجزء الثاني من هذا اللقاء كانت له نتائج كارثية فقد سمح بصعود مخيف لقوى ما قبل الدولة الطائفية والمناطقية التي سعت الى تقاسم السلطة والموارد حتى بوسائل غير مشروعة، وجعل كل شيء يجري في العراق يبدو بلا اطار استناد أو ضابط ، ابتداءً من الانتخابات وانتهاء باعمال تبليط شارع. والملاحظ في وضع كهذا ان المسألة الامنية تقدمت على المسائل السياسية العاجلة مما اضاع الكثير من الوقت في تذليل مصاعب انعدام الثقة ما بين القوى السياسية وما بينها والناس مع بقاء شكوك ومخاوف تكاد تشبه مرضا من امراض الجنون والارتياب ما زالت تعمل حتى الآن ، فضلا عن ضياع فرص في البناء واعادة البنى التحتية المهدمة.

يحتاج العراقيون اليوم الى فهم ما جرى ويجري ، والى تفهم مجهوداتهم وتشجيعهم على تخطي مصاعبهم ومساعدتهم على الخروج من مأزق الاحتلال والعنف ، وليس الى اتهامهم بالعمالة واطلاق النار عليهم وتحويلهم الى مجموعات عناد سياسي تصطف لقتال بعضها البعض ، مخوفة او مستاءة من بيئتها العربية المحيطة. تلك هي مهمة مثقفين من طراز نقدي ، من طراز المثقف المجتمعي وليس من طراز سياسي يعبئ الجماهير بالحقد والاستعداد للحرب الأهلية.

عن موقع المدى، ٦ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

بين نقد الوعي النقدي والتجريح الشخصي!

كاظم حبيب

حين بدأت بمطالعة افتتاحية مجلة الآداب التي كتبها السيد الدكتور سماح إدريس أعجبت بالنقد الموجه إلى ازدواجية المعايير والكيل بمكيالين في الدول العربية والتي ابتليت بها جمهرة من العاملين في حقل الصحافة والإعلام بشكل عام. وما أن قطعت شوطاً في القراءة وما أن انتهيت منه حتى تبينت لي ثلاثة أمور لا بد من تأشيرها قبل البدء بالكتابة عن الفكر والغاية أو الأهداف التي تقف وراء كتابة هذه المقالة في مجلة أدبية لبنانية كانت تتميز بالرصانة الأدبية حتى حين تطرح الفكر القومي اليميني أحياناً والمعتدل أحياناً أخرى، وهي القضايا التي سماها السيد سماح بلب المسالة. وبعد مرور عدة أيام على نشر المقال وتداعياته القضائية العادلة، **فوجئت بحملة منظمة وواسعة نسبياً، ولكنها مقتصرة على قوى معينة يقودها الدكتور سماح إدريس ذاته وتساهم فيها مجموعة من البعثيين الصداميين العراقيين وبعض العرب إضافة إلى جمهرة من القوميين اليمينيين المتطرفين منهم من شكل تحالفاً سياسياً معادياً للأمن والاستقرار في العراق ومتحالف مع قوى الإسلام السياسية التي تمارس الإرهاب في العراق**، لجمع التواقيع وكتابة المزيد من المقالات بذات الاتجاه لتضييع الهجمة الشرسة التي بدأها السيد سماح ومنع استمرار الدعوة القضائية أو التشويش عليها. وهذه الهجمة العدوانية لم تمس الأخ والصديق السيد فخري كريم وحده، بل مست بالصميم الحزب الشيوعي العراقي والشعب الكردي وجمهرة كبيرة جداً من مثقفات ومثقفي العراق ممن ساهمت في مهرجان المدى الثقافي في أربيل، عاصمة إقليم كُردستان العراق، إضافة إلى اتهامات أخرى للحركة الكردية حول العلاقة بإسرائيل وما إلى ذلك.

لا أملك حق الرد باسم الحزب الشيوعي العراقي ولا باسم الصديق فخري كريم أو قادة الحركة الوطنية والقومية الكردية، أو جمهرة المثقفين الكبيرة التي ساهمت في أسبوع المدى الثقافي، فهم قادرون على ذلك وهي مهمتهم كما أن البعض الكثير منهم قد احتج وأدان الحملة المغرضة ضد الأخ فخري كريم، ولكني أملك حق الحوار مع الدكتور سماح إدريس

باعتباري صديقاً ورفيق نضال مديد لفخري كريم ولجمهرة كبيرة من المثقفات والمثقفين الذين شاركوا في أسبوع المدى الثقافي من عراقيين وعرب أولاً، وقارئاً اطلعت على هذا المقال وأعرف تلك الجهات الشخصية والعامة التي وجه ضدها السيد سماح هجومه وأدرك وقوع حيف كبير وإساءات شديدة غير حضارية وغير مبررة ومسيئة نزلت بهؤلاء جميعاً ثانياً. والمشكلة تبرز في الوقع التالي: نشر الدكتور سماح إدريس معلومات مسيئة جداً ووجه اتهامات كبيرة وخطيرة واستند إلى كتابات صادرة عن أشخاص قال عنهم أنهم من الأعضاء السابقين في الحزب الشيوعي العراقي. والغريب أن الرجل قد طرح تلك الإساءات والمعلومات الخاطئة والكاذبة وكأنها حقائق ثابتة بنى عليها استنتاجاته أولاً، بالتالي فهو مسؤول مسؤولية كاملة عما نشر في المجلة وللسيد فخري كريم حق مقاضاته أمام القضاء اللبناني.

للسيد الدكتور سماح إدريس كل الحق في النقد وتوجيه الاتهامات لمن يشاء شريطة أن يقدم كل ما لديه من وثائق للبرهنة على صحة ما كتبه، وفي حالة عدم نشره وثائق فعليه [ـة] تثبت صحة الاتهامات والإساءات المباشرة والشخصية، يفترض فيه أن يتقبل برحابة صدر ودون أن يثير ضجة لا معنى لها حين تقام الدعوى عليه بسبب القدح الذي مارسه بحق شخصيات ومؤسسات عراقية. ولا شك في أن أمام السيد سماح إدريس أحد موقفين، وهما: ١ ـ أن يجهد نفسه لتهيئة كل الوثائق الضرورية التي تثبت رأيه وإلا فمسؤولية القضاء إعطاء الحكم والقرار الفصل بالقضية. ٢ ـ **أو أن يقدم اعتذاره عن تلك الإساءات ويسحب كل الاتهامات** التي وجهها بصورة اعتباطية وتحمل الكراهية والحقد الأعمى، **وأن يتعهد بعدم تكرار** توجيه مثل تلك الاتهامات الباطلة.

كم كان بودي أن لا يتورط الدكتور سماح إدريس بمثل هذا المقال التعس الذي لا يمت إلى النقد ولا الوعي النقدي بصلة، بل يَغيب عنه الوعي النقدي العقلاني ومليء بوعي مزيف ومشوه ويحاول تشويه الآخر. كما يجسد حقداً وكراهية غير معهودتين [كذا] في إنسان أديب ورئيس تحرير مجلة الآداب التي يفترض أن تدعو إلى المحبة والوئام والاحترام المتبادل واحترام حقوق الإنسان واحترام العاملين في مجال الثقافة والإعلام، كما أنه يثير ضد السيد فخري كريم مشاعر الحقد والكراهية لدى الآخرين من جراء التهم ذات الوزن الثقيل التي وجهها له، في حين أنها كلها بالونات فارغة مثيرة للسخرية وسرعان ما سيتيقن بنفسه وأمام القضاء كم كان مسيئاً لنفسه بتلك التهم قبل أن يسيء للسيد فخري كريم.

من يعرف القوى البعثية الصدامية والقوى القومية الشوفينية ومن عاش سنوات طويلة تحت وطأتها وأساليبها القذرة في تشويه سمعات الناس، يدرك دون أدنى ريب أن السيد سماح إدريس قد مارس الأسلوب نفسه الذي استخدمه صدام حسين وحزبه وأجهزته الأمنية والإعلامية في توجيه الاتهامات بكلمات نابية وجارحة كان الهدف منها تشويه سمعة السيد فخري كريم في المحافل العربية والدولية، تماماً كما فعل جلاوزة صدام حسين حين حاولوا اغتيال فخري كريم في بيروت في العام ١٩٨٠ وخابت فعلتهم.

سأحاول فيما يلي أن أتناول بعض النقاط التي أثارها السيد سماح إدريس:

حول أسبوع المدى الثقافي في أربيل: كنت من المشاركين في أسبوع المدى الثقافي في أربيل، وقد كان الأسبوع تظاهرة عراقية حقيقية للثقافة العراقية الديمقراطية وحضرته مجموعة كبيرة من مثقفي العراق والدول العربية وشاركت في النقاشات حول مسائل ذات أهمية فائقة لحياة الشعب العراقي وعملية التنوير الفكري والسياسي والثقافي والبيئي بشكل خاص، ولكن كانت لها أهميتها للشعوب العربية أيضاً مثل قضايا الديمقراطية والمجتمع المدني، والعلاقة بين الدين والدولة وأهمية إقامة دولة علمانية وفصل الدين عن الدولة، وحول مسائل الاقتصاد العراقي واقتصاد النفط ودوره وأهمية بقاء هذه الثروة في يد قطاع الدولة، ثم قضايا الإرهاب والمليشيات ومشكلات الثقافة والمثقفين، إضافة إلى ندوات شعرية وقراءات أدبية وأفلام ومسرحيات وفرق موسيقية وغنائية ومعرض للكتاب، إضافة إلى إتاحة الفرصة للإطلاع على واقع الإقليم ومجموعة كبيرة من الفعاليات الفنية الأخرى. فما هو السبب في إدانة مثل هذا المهرجان؟ لقد عقد مثل هذا المهرجان ولثلاث سنوات في دمشق ولم يوجه السيد سماح إدريس أي نقد له أو لمنظمه السيد فخري كريم، وقد كان المهرجان في الشام تظاهرة شبابية وثقافية رائعة رحب بها المسؤولون وأبناء الشعب لدورها في عملية التنوير والعلاقات الجميلة التي كانت تحركها بين المثقفين. فلِمَ هذا النقد الشديد لأسبوع المدى الثقافي الذي عقد في رحاب إقليم كُردستان العراق وفي أحضان الشعب الكردي وقوميات أخرى وفي عاصمتها أربيل؟ هل ينطلق هذا الموقف من ذهنية عربية شوفينية بسبب عقده في كُردستان بعد أن تكرست الفيدرالية فيها رسمياً ووفق الدستور العراقي؟ أعتقد ذلك، والمقال يجسد هذه الذهنية بوضوح كبير.

من الممكن أن ينتقد الإنسان مفردات المهرجان أو الجانب الفكري في هذه الندوة أو تلك، أو أن ينتقد التنظيم، ولكن أن يأخذ سماح على عاتقه مهاجمة المهرجان الثقافي لأنه عقد في كُردستان ولأن بعض الكتاب الذين شاركوا فيه امتدح

المهرجان وفعالياته المتنوعة والكثيرة وامتدح القائم على تنظيمها والممولين لها، فهو الأمر الغريب وغير المسؤول حقاً. من حق السيد سميح [كذا] أن ينتقد، ولكن لا أن يشتم ولا أن يتهم ويتجاوز على حق الإنسان في حماية كرامته ورفض التجاوز عليها من أي شخص كان.

يبدو أن السيد سماح تجاهل مسألتين مهمتين، وهما: ١ ـ ضرورة التمييز بين الثقافة الديمقراطية التي قدمت في المهرجان من جانب مثقفات ومثقفين عراقيين وعرب، وبين الثقافة الصفراء التي سادت في المجتمع العراقي لعقود عدة والتي هي نتيجة منطقية لـ ٣٥ سنة، ثقافة فاشية وعنصرية وطائفية روج لها ونشرها حزب البعث العربي الاشتراكي بقيادة الطاغية صدام حسين من جهة، ونتيجة الفكر الديني الطائفي والسلفي المتطرف والإرهابي الذي حاول أن يحل محل ثقافة البعث الشوفينية من جهة أخرى. ولكن هناك كثرة كبيرة من المثقفين العراقيين، سواء من تسنى له المشاركة في المهرجان أم لم يشارك فيه، تساهم بفعالية في نشر الثقافة الديمقراطية في العراق رغم المصاعب الجمة التي تواجهها في هذا الصدد. ٢ ـ وأن هذا المهرجان الثقافي يهدف إلى نشر الثقافة الديمقراطية والتقدمية ومناهضة الفكر الشوفيني والثقافة الصفراء والثقافة الدينية والطائفية السلفية المتعصبة والمتطرفة والتي تتجلى في ثقافة القاعدة المتحالفة مع بعض بقايا قوى حزب البعث والقوى القومية العربية الشوفينية في العراق. كان على سماح إدريس أن يفكر بهذا الأمر وأن يفكر عن سبب تأييد الكثير من المثقفين العرب هذا المهرجان.

حول إقليم كُردستان: يعتقد السيد سماح إدريس أن العراقيات والعراقيين لا يعرفون ما كان يجري في كُردستان في فترة حكم النظام [نظام] صدام حسين، ولا يعرفون ضحايا عمليات الإبادة الجماعية وضد الإنسانية التي مارسها الدكتاتور ورهطه ضد الشعب الكردي. علينا أيها السيد سماح أن نتحدث بكل صراحة، وأتمنى على سماح أن يعيد النظر بوجهة تفكيره وأن يفكر بالمطب الذي ورط نفسه فيه من خلال رجال السوء:

* لقد تخلص إقليم وشعب كُردستان من سيطرة النظام البعثي على الدولة العراقية ومن هيمنة القوى البعثية الدموية ومن أولئك الذين نفذوا مجازر الأنفال وقصف حلبجة بالكيماوي وقتل الألوف من الناس الكُرد هناك، إضافة إلى خطف ومن ثم قتل وتهجير ثم دفن الناس بالمقابر الجماعية حتى بلغ عددهم أكثر من ١٨٠ ألف إنسان.

* وأقام الشعب الكردي فيدراليته الكردستانية في العام ١٩٩٢، وظل مصراً على البقاء في إطار الجمهورية العراقية إلى حين تشكلت هذه الجمهورية الاتحادية فعلاً. والإقليم يحكم من قبل أبناء الإقليم من الكُرد وغير الكُرد.

* والواقع الجديد أنهى مشكلة عمرها أكثر من ٨٠ سنة، أي منذ أن ألحقت ولاية الموصل بالعراق في العام ١٩٢٦ وفق قرار مجلس عصبة الأمم. وبالتالي سيوفر الأرضية المناسبة لتعميق الأخوة والتضامن بين العرب والكُرد وبين بقية القوميات حين تنجز حقوق القوميات الأخرى في العراق بشكل عام.

* وأن هناك حركة عمرانية واسعة جداً في كُردستان لتعويض التهميش الذي عاشته طيلة عقود من جانب الحكم المركزي في بغداد، كما أسست مجموعة من الجامعات ومن النشاطات الثقافية التي سيكون لها دورها في تغيير واقع المجتمع الكردستاني.

ولكن نعرف وندرك أيضاً بأن هناك جملة من النواقص والسلبيات التي يفترض أن تزول من المجتمع الكردستاني ومن المجتمع العراقي عموماً، ومنها ضعف الديمقراطية ووجود سجناء سياسيين وعمليات قتل للمرأة تحت واجهة غسل العار التي تمارس في الكثير من الدول العربية وفي عموم العراق بشكل مخز وإجرامي، إضافة إلى ممارستها في البصرة، وفق تصريحات مدير شرطة المدينة والمحافظة التي لم يتحدث عنها السيد سماح إدريس، وكذلك وجود الفساد المالي والإداري والمحسوبية والمنسوبية والحزبية الضيقة... الخ على نطاق العراق، ومنه كُردستان. حبذا لو تسنى له الإطلاع على مقال لي كتبته عن كُردستان بعد زيارتي لها في ربيع العام ٢٠٠٧ لكي يعرف أن العراقيين لا يسكتون عن النواقص حين يتلمسونها، وقد نشرت تلك السلسلة النقدية من المقالات في مجلة رؤية في السليمانية وجريدة المدى وفي جريدة الاتحاد في بغداد، وكذلك في جريدة التآخي وفي عشرات المواقع الإلكترونية بما فيها مواقع الحوار المتمدن وصوت العراق والجيران. فهامش الحرية في النشر متاح، **وكان في مقدورك نشر أي نقد للتجربة الكردستانية لو كان نقدك يتضمن الروح الموضوعية والبناءة وليس كما ورد في مقالك المنشور في مجلتك الأديب** [كذا]، ولم تكن مقالة **مؤدبة** في كل الأحوال.

إقليم كُردستان وإسرائيل: أعلم علم اليقين بأن كل ما قيل عن علاقات إقليم كُردستان بإسرائيل محض افتراء. ورغم تكذيب السادة رئيس الإقليم ورئيس حكومة الإقليم ورئيس مجلس نواب الإقليم، إضافة إلى تكذيب ذلك من قبل السيد رئيس الجمهورية، فأن الكارهين للفيدرالية الكُردستانية والحاقدين على وجودها باعتبارها شوكة في عيونهم يرفضون الاقتناع بما يقال ويرددون كذبتهم وليس أمامنا إلا أن نذكرهم بمقولة هتلر حين أكد "افتروا ثم افتروا ثم افتروا، لعل بعض افتراءاتكم تعلق بأذهان الناس". **ولكن دعونا نقبل بهذه الفرية وهذا الادعاء بوجود علاقات بين إقليم كُردستان**

ودولة إسرائيل في الفترة التي أعقبت سقوط نظام البعث. فماذا في ذلك؟ هل نسي السيد سماح إدريس أن مصر تقيم أوسع العلاقات الدبلوماسية والسياسية والاقتصادية والثقافية مع إسرائيل وعلى مختلف المستويات؟ **وهل نسي أيضاً أن المملكة الأردنية الهاشمية هي الأخرى تقيم علاقات متقدمة مع إسرائيل** ووجود زيارات متبادلة بين مسؤوليها؟ **وهل غابت عنه علاقات آريتيريا الدبلوماسية بإسرائيل، وعلاقات دولة قطر الحميمة بها**، وكذلك الدولة التركية المسلمة مثلاً؟ هل يمكن أن يكون الأخ، وغيره من القوميين العرب اليمينيين، مصاباً بعمى في العين اليمنى؟ لِمَ يا رجل تنسى كل هؤلاء وتوجه اتهامك إلى الشعب الكردي وحكومته؟ لا شك في أن الدول العربية كلها ستقيم علاقات، بل سوف تتسابق على إقامة العلاقات، مع إسرائيل حال حصول حراك نسبي في القضية الفلسطينية، ولكن هذا النهج القومي اليميني والشوفيني لا يمكن قبوله، فهو **نهج تدميري يدعو إلى رمي إسرائيل في البحر**، وهو أمر ليس فقط صبيانياً بل مستحيل التحقيق، وبالتالي يسلم ما تبقى من فلسطين تدريجياً إلى إسرائيل. هذا هو موقف القوى البعثية والقومية العربية اليمينية المتطرفة وموقف قوى الإسلام السياسي المتطرفة واللصيقة بالسياسات الإيرانية، كما في حالة حزب الله في لبنان، وبتنظيم القاعدة كما في حالة حماس، إضافة إلى إيران. علينا أن ندعم الجهود لحل المسألة الفلسطينية بالطرق السلمية رغم كل الصعوبات التي تواجه هذا الحل من جانب الدولة الإسرائيلية وقواها الصهيونية وقوى الإسلام السياسي المتطرفة في فلسطين وفي العالم العربي. **لم يبق من فلسطين سوى ٢٢** ٪ من أصل الأرض الفلسطينية في عام التقسيم، وهذه النسبة مليئة بالمستوطنات اليهودية. وعليكم أن تفكروا بالشعب الفلسطيني لا بشعارات القوى البائسة التي ساهمت في ضياع الكثير من الأرض العربية ولكي لا يفقد هذا الشعب الأبي المزيد من الأرض لصالح إسرائيل. ولهذا أملي أن تكفوا عن هذه اللعبة البائسة في محاولة إلحاق الضرر بإقليم كُردستان من خلال تهييج جماهير عربية لا تزال تتحرك بعواطفها وليس بعقلها لأن هؤلاء يحملون وعياً مزيفاً تساهم القوى القومية اليمينية والمتطرفة والشوفينية وقوى الإسلام السياسي السلفية والمتطرفة بنشره وتكريسه في أذهان الناس.

موقف السيد سماح إدريس من السيد فخري كريم: يمكن أن يختلف الإنسان أو يتفق مع السيد فخري كريم لأي سبب كان، سواء في الفكر أو في المواقف السياسية أو أن يمارس النقد الصريح والجريء لما يراه غير مناسب لدى السيد فخري كريم. ولكن هذا التوجه يجب أن يتجنب القدح والتجريح والشتم وتوجيه اتهامات باطلة من جانب، وأن لا نختلف على عدد من المسائل، ومنها: ١ ـ لقد ناضل فخري كريم بعناد وصلابة متميزة ومبدئية عالية وشجاعة ضد نظام الحكم الملكي وكان لا يزال شاباً يافعاً، ثم ضد النظم البعثية والقومية الشوفينية، وخاصة الحكم الصدامي الدموي ودخل السجن واعتقل ثم جرت محاولة لاغتياله من جانب جلاوزة صدام حسين الجبناء.٢ ـ لقد كان عضوا في اللجنة المركزية والمكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي، وهو حزب معروف بنضاليته العالية وتضحياته الكبيرة. ٣ ـ وقد ساهم بفعالية في دعم حركة التحرر الفلسطينية وله علاقات واسعة مع قادتها من مختلف فصائل الحركة. كما أن له علاقات واسعة وطيبة مع جمهرة كبيرة من مثقفي فلسطين وقادتها السياسيين. ٤ ـ ولعب الرجل ولا يزال يلعب دوراً مهماً في الحياة الثقافية العراقية والعربية، سواء حين كان في العراق وفي ظروف صعبة، وكان مدير تحرير جريدة طريق الشعب، جريدة الحزب الشيوعي العراقي ورئيس تحرير النهج ومجلة المدى في دمشق، ثم جريدة المدى العراقية. وأسس دار المدى التي تلعب دوراً كبيراً في الثقافة العربية، إضافة إلى تأسيسه مركز الدراسات الاشتراكية في دمشق. ٥ ـ ولعدة سنوات نظم السيد فخري كريم مهرجان المدى الثقافي في دمشق وكان له دوره الفكري التقدمي في الحياة الفكرية والثقافية السورية. وله علاقات واسعة وطيبة مع مثقفين عرب في كل أنحاء العالم العربي، ولكن لا يمكن وجود كارهين له وحاقدين عليه لدوره المتميز ونهجه الفكري والسياسي، ومنهم السيد سماح ومقاله الذي نتحدث عنه. ٦ ـ وكان فخري كريم ضد الحرب الأخيرة ضد النظام العراقي لا حباً بالنظام بل حباً بالشعب وما يمكن أن يتعرض له عبر الحرب وخشية عليه، إضافة إلى أنه كان يفضل سقوط النظام على ايدي الشعب وقواه السياسية.

لهذا فالاتهام بالتجسس والعمل لصالح وكالات تجسس دولية هو ليس محض افتراء بائس ولا يثير إلا السخرية فحسب، بل اتهام خطير ووقح يستوجب أن يقدم صاحبه للمحاكمة. وكان على هؤلاء العودة للحزب الشيوعي العراقي للاستفسار منه عن المهمات التي اضطلع بها السيد فخري كريم في إطار القيادة الحزبية وليس شن هجوم شديد غير مبرر وسخيف. يفترض العودة إلى الحزب الشيوعي أيضاً في المسألة المالية والاستفسار منه عن مدى الخطأ أو الصواب في الادعاء الوارد في رسالة السيد سماح والذي يعتمد على كتابات أناس يكنون الكراهية للسيد فخري كريم ولهم مشكلات مع الحزب وليس مع السيد فخري كريم وحده. **إن وجودي عضوا في المكتب السياسي للحزب الشيوعي العراقي ولسنوات عدة يسمح لي أن أفند هذا الادعاء الوقح**، أياً كان قائله وأن أثمن الجهد الذي بذله في كسب الموارد المالية للحزب لمساعدته في نضاله ضد الدكتاتورية الغاشمة. إن على من يوجه الاتهام أن يدلل عليه بالوثائق. وهنا أجد ضرورياً

أن تنبري قيادة الحزب الشيوعي العراقي لتبرئة أحد قادة الحزب السابقين من هذه التهم الكاذبة التي توجه له، لأن المقصد ليس فخري وحده بل الحزب الشيوعي كله.

ليس فخري كريم دون أخطاء، فهو إنسان كبقية البشر، له جوانبه الإيجابية وجوانبه السلبية، كما أرى وكبقية البشر، له أخطاؤه في العلاقة مع هذا الشخص أو ذاك ومع هذه القضية أو تلك، ولكن حين تسوء العلاقات بين شخصين فلا بد من أن يجري التحري عنها عند الطرفين في الأقل، فالمسألة ليست من جانب واحد، فالطرف الآخر يتحمل كل المسؤولية أو جزءاً منها. ولكن إذا كان في من كتب حتى الآن لم يرتكب أخطاءً في علاقاته السياسية، دعْ عنك الشخصية، فليرمني ويرمي [كذا] فخري كريم بحجر. ولكن لن يجرؤ أي منكم على ذلك لأنكم تمارسون ارتكاب الأخطاء يومياً، وهذا المقال الدليل الثابت على ذلك. هل يمكن أن نتصور أن شخصاً مثل السيد فخري كريم يعمل طيلة خمسة عقود تقريباً في السياسة يبقى دون أخطاء وفي بلد كالعراق؟ ولكن الأخطاء شيء والاتهامات الوقحة والإساءات التي وجهت حتى الآن من جانب الجوقة البائسة شيء آخر.

ولكن دعوني أهمس بأذن السيد سماح إدريس بصوت مرتفع وأقول له أن المقالة التي كتبتها واحدة [كذا] من أكبر الأخطاء التي يمكن أن يرتكبها إنسان بحق آخرين، فهل أنت واع لهذا الخطأ الفادح؟ أرجو ذلك رغم فوات الأوان. إنه يمارس هنا أكبر الأخطاء، وفي الوقت نفسه يقوم بنقد الآخرين على الأخطاء التي ارتكبوها، كما يعتقد. إنه يرمي الناس بالحجارة التي يمكن أن ترتد إليه. البعثيون والقوميون اليمينيون أو من لف لفهم والذين يسودون الصفحات حالياً، عليهم أن ينتبهوا إلى المثل المعروف "من كان بيته من زجاج، لا يرمي الناس بالحجر".

لست راغباً في تقديم ملف النظام العراقي ألصدامي إلى الشعب العراقي والشعوب العربية أو إلى السيد سماح إدريس، فهو ليس مريراً فحسب، بل ومخجل حقاً ولطخة سوداء كبيرة في تاريخ الأمة العربية. وهو السبب في ما يعاني منه العراق حالياً بما في ذلك وجود قوات الاحتلال في العراق. ولكن على أتباعه ومريديه أن يدركوا بأن محاولات تشويه سمعة الآخرين لن تنفع أحداً ولن تعود بالنفع على أحد.

عن موقع المدى، ٩ شباط ٢٠٠٨

❖ ❖ ❖

حازم صاغيّة — في مسائل القانون والرأي

ليس سهلاً، إلاّ في معرض الإطناب والتفخيم والسخاء اللفظيّ، وصف ثقافتنا السياسيّة بالدقّة، كي لا نقول النزاهة. فتهم «خائن» و «عميل» و «جاسوس» و «سارق» و «لصّ» هي مما يحفل به قاموس التبادل الشائع. **وهو ما يلحّ على تحكيم القانون في ألسنة أفلتت من عقالها**، لا ترى ضرورة للإثبات والبرهان تقرن بهما تلك التهم المسيئة، وأحياناً المدمّرة، لمن توجّه التهم إليه. أما أن يقف مثقّفون عرب، ومعهم غربيّون مستعربون، ضد تحكيم القانون بالشتائم، وإلى جانب تصنيف الشتيمة رأياً، فهذا انحطاط في ثقافة المثقّفين المعنيّين يشرب من مناهل عدة. وأوّل المناهل، هنا، ان الثقافة لا تتفوّق أخلاقيّاً على سائر بُنى المجتمع لجهة النأي عن القوانين والتنكّر لها، الأمر الذي استفحل في السنوات الأخيرة مع إفساح بعض التلفزيونات شاشاتها لأشكال الإثارة من كلّ نوع.

والحال أن ديفيد إيرفينغ حين كذب في «تأريخه» وفي كُتُبه وجد من يستدعيه الى المحكمة بحيث آل به الأمر الى نكبة ماليّة وسنوات قضاها في الزنزانة.❖ وهو ما يحصل في مجتمعات نظنّ أنها أكثر احتراماً لـ «الرأي» وأكثر حريّة في التعبير عنه، فضلاً عن كونها أشدّ حفولاً بالقانون. وهذا مبدأ يجدر بالمثقّفين أينما كانوا أن يدافعوا عنه وأن يطالبوا مجتمعاتهم ودولهم بالعمل بموجبه. فحين يحصل العكس يصير حريّاً بنا التساؤل عمّا وراء هذا الرفض لتحكيم القوانين.

واقع الأمر أن نزعة كهذه لا تُعدم الصلة بميل طاغ الى استبعاد المعاني والدلالات عموماً وردّها الى رغبات أيديولوجيّة محضة. **فالتجرّؤ على مبدأ إنشاء محكمة دوليّة** للبّتّ في جريمة كاغتيال رفيق الحريري صار موقفاً «وطنيّاً» غير هيّاب! وحين غزا صدّام حسين، مثلاً، دولة الكويت، غدا **القانون الدوليّ** وحقّ الأمم في تقرير مصيرها، في بيئة واسعة عربيّاً، معاني بلا معنى. وحين يصرّ البعض على بقاء سلاح «حزب الله» في لبنان، على رغم الإقرار الدوليّ بانسحاب القوّات المحتلّة من أرضه، يصير القانون الدوليّ **ومبدأ احتكار الدولة لأدوات العنف**، هي الأخرى، معاني بلا معنى.

❖ ـ تعليق الآداب: يُرجى العودة إلى مقال أسعد أبو خليل في هذا العدد لدحض هذا المثال.

وقصارى القول إن المطلوب، في السياسة كما في الثقافة، يمسي واحداً أحداً: تحكيم **فوضى التعريف وفوضى السلوك** في حياة المجتمعات وفي بشرها. فإذا ما عنّ لأحدهم أن يسائل الفوضى هذه جاء الجواب ديماغوجيّاً محضاً: فالمحكمة الدوليّة مؤامرة، وصدّام فعل ما فعله لتحقيق «الوحدة» أو ردّ «الكرامة»، و «حزب الله» يفعل ما يفعله لأسباب مشابهة وبمصطلحات مماثلة. أما الاعتراض على افتقار هذه الحجج لأيّة صلة بالقوانين فتنكّرٌ للشعب والأمّة وجري في مجرى المؤامرات عليهما! وبالمعنى نفسه تصير الدعوى من قبل فرد ضدّ فرد وجّه له تهمة أخلاقيّة ثأراً من «تقليد نضاليّ» عبّرت عنه مجلّة ذات تاريخ، أو انتقاماً من عائلة، صدف أنها عائلة ذاك الفرد، اشتُهرت بدور في الحياة الثقافيّة. وهو عموماً إنما يندرج في تقليد التكفير لأن صاحب الدعوى يمسّ، والحالة هذه، بمقدّس. وبدل التضامن مع المشهَّر به من دون إثبات، يصير المطلوب التضامن مع الذي مارس التشهير **لأنه حارس المقدّس وتجسيده**. هكذا نجلس، كما جلس صدام حسين، محيطين أنفسنا بدروع بشريّة ودروع تراثيّة ونقول: إن من يريد ردعنا إنما يغتال التاريخ والبشر. وهذا كلام تثيره حادثة في بيروت ليست تافهة على الإطلاق وليس طابعها التمثيليّ ضعيفاً أبداً.

موقع جريدة الحياة، ٢٠٠٨/٢/٩

❖ ❖ ❖

قضية حرية التشهير بصفتها آخر الحريات...

دلال البـــزري

قد تكون حرية التشهير بأمانة الخصم في الرأي وبكرامته وبذمّته وبوطنيته، ومن موقع المحصن برأي أهله.... أقوى الحريات في عالمنا العربي. زادت هذه الحرية مؤخراً، بعدما اشتدّ الانقسام السياسي والفكري بين «مقاومين» يريدون فتح كل الجبهات على «المشروع الاميركي الصهيوني»، وبين آخرين لا يرون في هذه «الفتوحات» غير خراب بخراب.

«أشرف الناس! اكرم الناس! انظف الناس!». هكذا يرى «الممانعون» انفسهم. وبهذا الوصف لهم مطلق الحرية الاخلاقية في ان يمرّغوا خصومهم من غير الموافقين على اجندتهم في وحول الخساسة والعمالة والاستزلام والتبعية والتخاذل و«القبض» والسرقة والتعامي عن الحقائق التي لا يراها غير «الوطنيين الشرفاء».

هذا لا يعني أن صفوف «عديمي المقاومة» المستهدفين بالتجريح هم ملائكة الحجة الموضوعية الهادئة. فهم ايضا لهم قاموسهم التشهيري. وبينهم، فوق ذلك، من لا يردّ على الاختلاف الفكري (أو حتى على اختلاف في وجهة النظر) الا بالتشهير الشخصي وبالتشكيك في الذمة والكرامة. لكن الفرق ان «اشرف الناس» المقاومين اقوى منهم جماهيرياً وإعلامياً وثقافياً. اكثر منهم تنعّما بالتالي بحرية التشهير. مع هذا فالجميع سواسية في هذا العيب الخُلقي الفكري-الاخلاقي.

هل من حاجة الى امثلة عن هذه الحرية المقدسة؟ آخر الحريات؟ مثل واحد يكفي. ربما بسبب الضجة الاعلامية التي اثارها صاحب المثل: افتتاحية الدكتور سماح ادريس الاخيرة في مجلة «الآداب» اللبنانية. عنوانها «نقد الوعي «النقدي»: كردستان العراق نموذجا». وفيه «تشريح» لحالة كردستان العراقية، من الدور الاسرائيلي فيها، الى حقوق الانسان والمرأة، الى تدمير كردستان... الخ. وفي هذا التشريح شيء من الحقيقة. لكن لغته الكارهة واليقينية أضعفت موضوعيته؛ وكذلك رؤيته المؤطرة بالهيكلية التنظيرية «الممانعة»، المعجَبة بخشَبيتها والمصرّة عليها... **والتي لا ترى مسؤولية إلا في «المشروع الاميركي الصهيوني»**.

نتابع: **كل هذا الوضع «المزْري» لكردستان العراق هو مسؤولية مثقف معروف** ونشيط، هو فخري كريم. فالافتتاحية منكبّة عليه في بدايتها حيث «تنقد» تعامي المهرجان الضخم الذي ينظمه سنوياً عن هذه الحقائق التي تكشفها حول كردستان؛ **وتتهم منظّمه بإخفاء حقائق كردستان عن مئات من المثقفين المدعوين** الى هذا المهرجان. وهذا ايضا ليس مشكلة عويصة.

المشكلة الحقيقية ان الافتتاحية تنتهي بفقرة هي بيت القصيد: اذ تدعو القراء الى «تصفح الانترنت» او«الالتقاء بأي شيوعي عراقي نظيف» ليعلموا «أين آلت اموال الحزب الشيوعي العراقي وأموال الفقراء والطلاب وعائلات الشهداء، اموال مجلة النهج ودار المدى، ليعلموا صلات بعض «الشيوعيين» القدامى-الجدد بمخابرات صدام نفسه في الستينات والسبعينات، فضلا عن المخابرات العربية والاميركية والبريطانية...». (الآداب. ص٩٦).

ردة الفعل جاءت سريعة: دعوى رفعها فخري كريم ضد سماح ادريس و«**دار الآداب**»؛ وفي احدى فقرات الدعوى: «للسيد ادريس حقه باتخاذ الموقف السياسي الذي يريد (...) لكن ليس من حقه ان يتجاوز حدود النقد المباح (...) الى سلوك

الكراهية والاهانة وتعمد المساس بكرامة فخري كريم (...) والتشهير به وتحقيره من خلال اتهامه بارتكاب جرائم مخلّة بشرفه واخلاقه (...) افتراءات لا اساس لها من الصحة».

اما الرد على الرد فيكون بـ«ميثاق شرف» يُدعى فيه المثقفون الى التوقيع، وعنوانه «ميثاق شرف بين أنصار الكلمة الحرة». ميثاق يستند الى الدستور اللبناني حول الحرية والديموقراطية، ويحرم اللجوء الى المحاكم «إنطلاقا من الاختلاف في الرأي او المعلومة او الدليل»! هكذا تتحول قضية النيل من الذمة المالية او الاخلاقية الى «فكر لا يجابه الا بالفكر»؛ أو الى «حقائق لا تدحضها الا حقائق». أو ايضا «ليس من اجل مجلة الآداب فقط، بل من اجل حرية كل مواطن عربي»! (بحسب ميثاق الشرف). هل من حاجة الى المزيد؟ حرية كل مواطن عربي يحميها توقيع عدد من المثقفين على هذا الميثاق دفاعاً عن «افتتاحية جريئة لاقت اعجابا من الكثيرين لا لجرأتها (هل تحتاج هكذا افتتاحية الى كل هذه الجرأة؟) في هذا الزمن الصعب فحسب، بل لوضوحها...» الخ.

ولا ينسى «ميثاق الشرف» في حملة التوقيع هذه أن يذكّر بجَميل مجلة إدريس، أو بالاحرى سلطته على الموقّعين المفترضين، بعدما أُخذ على الخصم استقواؤه بسلطة رئيس جمهورية بلاده، اذ يقول «كم من شاعر وروائي وقاص وناقد -ما بين المحيط والخليج- صعد على صفحات الآداب....».

هذا والملف كله مع الميثاق واسماء الموقعين والدعوى القضائية المقامة ضد «الآداب»، تجدها جميعاً في صدارة صحيفة يومية مقروءة ومعروفة بمقاومتها للمشاريع الاميركية والصهيونية في المنطقة [المقصود: جريدة **الأخبار**]. وعنوان هذا الملف: «تضامنا مع «الآداب» وسماح ادريس»؛ وهذا فقط لقياس مدى الحملة الاعلامية ونشاطها في وجه «**العميل... غير النظيف**»، فخري كريم. وقد وقعت على هذا الميثاق شخصيات سياسية وثقافية بعضها نافذ جدا... وينتمي جلها الى المعسكر «المقاوم» نفسه.

الآن: قد يكون فخري كريم قد ربح القضية ضد «الآداب»، وقد يكون خسرها. بل اكثر من ذلك: قد تكون ذمة فخري كريم نظيفة وقد لا تكون. لكن المشكلة ليست هنا: ليست في الشخص نفسه، بل في النهج التشهيري الحر المعتمد بين الخصوم السياسيين او الفكريين. والسؤال الذي يفرضه هذا النهج هو: اذا افترضنا أننا بتنا معسكرين كبيرين: بين «مقاومين» وبين «محذرين من خراب هكذا مقاومة»، بين معسكرين يرى كل واحد فيه في المعسكر الآخر انه «شر مطلق»، ولا يرى في نفسه الا «خيرا مطلقا»... فهل هذا تصور واقعي؟ «واقعي» بمعنى مطابق للواقع...؟ **ان يكون كل المقاومين خيّرين نظفاء شرفاء، وغير المقاومين اشراراً مشبوهين عملاء ملوثين**؟ وهل يعقل العكس ايضا؟

ميثاق التضامن مع سماح ادريس ينتمي الى مدرسة التشهير التي نعاني منها كلنا. اذا كان هناك من ميثاق فبين متخاصمين، ليس بين متحابين. وهذا هو الامتحان الحقيقي ضد عيب التشهير الذي لا ينال من المشهَّر بهم فحسب، بل من ممارسيه ايضاً.

موقع جريدة الحياة، ٢٠٠٨/٢/١٠

❖ ❖ ❖

بيان (على الصفحة الأولى من المدى)

في افتتاحية لمجلة الآداب البيروتية لم يمنع سماح إدريس نفسه من أطلاق سيل من اتهامات التخوين والعمالة للاحتلال واساءات وتجريحات طالت الأدباء والفنانين والمفكرين والسياسيين الذين اسهموا في فعاليات اسبوع المدى الثقافي معتمداً على خزين من التشويهات التي كانت تعتمدها مخابرات صدام ضد المعارضين العراقيين.

وفي إثر الدعوى القضائية التي اقامها في بيروت الاستاذ فخري كريم ضد ادريس ومجلته قاصداً ذلك الجانب من المقال المتعلق بالتخوين والاساءات والذي يتخلى عن ابسط اخلاق الحوار واحترام القارئ **انفلتت زمرة من أجراء الثقافة وتجار الاسلحة والعمل السياسي** في حملة منظمة ضد (المدى) وضد المثقفين المشاركين في فعالياتها من جانب، وضد جميع المثقفين العراقيين والعرب الذين التزموا بالموقف المبدئي الشريف مع شعب العراق في محنته.

ويواصل سماح ادريس ومن التفّ حوله من أمثال خير الدين حسيب ومعن بشور ونجاح واكيم وزمر عناصر المخابرات العراقية السابقة والمستفيدين من مدفوعاتها الحملة من خلال بيان يطالبون فيه بعدم الاحتكام الى القضاء في مواجهة اتهامات التخوين والعمالة، والافتراءات السياسية والثقافية...

موقع جريدة المدى، ٢٠٠٨/١/٦